من المطالب .

المفتاح الثامن عشر: فى تتمة بحث المعاد و اثبات الحشر الجسمانى و بعث الابدان ، و هذا ما تحير فيه الذين ارادوا فهمه و تفسيره على الاصول العقلية ، و صاحب هذا الكتاب اثبت على اصول ميتافيزيقية حشراً جسمانياً فلسفيا ، لكن يبقى عليه مؤنة التطبيق بين هذا الحشر الميتافيزيقى و بين الحشر الذى يثبته المعطيات الدينية ولم يثبت اثباتاً ضرورياً ان ذلك الحشر هو الحشر الذى يقصده الشريعة من وراء الايات الكتابية والاخبار النبوية والعلوية الصادرة عن النبى و آله الاطهار صلوات الله عليهم ، فللعقل مجال واسع فى هذا الامر، و يتلخص هذا المفتاح فى سبعة مشاهد ، الاول : فى اثبات النشأة الثانية للابدان على نمط البرهان و على اصول ستة ، الثانى : فى فروق الدنيا عن الاخرة فى نحو الوجود الجسمانى ، الثالث : فى تحقيق ما سلف من ان كل مؤمن له عالم فى الاخرة مثل هذا العالم و اكبر منه ، الرابع : فى مذاهب الناس فى المعاد ، الخامس : فى تعيين الجزء الباقى من اجزاء الانسان بعد الموت ، السادس : فى ان الحكمة تقتضى بعثاً للانسان بجميع قواه ، السابع : فى اقسام المعاد و هو بحث قيم نافع فى الفلسفة والعرفان و فى فهم عدة من المعطيات الشريعة .

المفتاح التاسع عشر: فى نبذ من احوال القيامة و فيه عشرون مشهدا ، الاول : فى صفة طريق الاخرة و سبب اعراض الخلق عنه ، الثانى : فى شرف علم الاخرة و علمائها ، الثالث : فى الانتقال من النظرة الاولى والعود اليها و الى التقابل بين مراتب البداية والنهاية ، والمبدأ هو الفطرة الاولى ، والمعاد هو العود اليها ، الرابع : فى الدنيا والاخرة ، و ذكر منازل الناس فيهما ، الخامس : فى علم الساعة و معنى انه كلمح البصر او هو اقرب[1] مستفيداً من التطبيق الفلسفى الذى شرحناه بعض الشرح فى الفصول الماضية،

[1] ــ نحل ٧٧

وقد فكر فى ذلك و امثاله تفكيراً كثيراً رامياً الى مجالات قاصية، لكن للكلام فى مقدار نجاحه فى هذا المضمار مجالا واسعاً يكون الكر والفحص فيه على ذمة المباحث المبسوطة على صعيد تطبيقات الفلسفة على معطيات الكتاب والحديث ، السادس : فى تحقيق القيامة والبعث ، و ان القيامة والبعث تنقسم الى الصغرى والكبرى ، السابع : فى معنى متى و اين بالنسبة الى قيام الساعة ، الثامن : فى عذاب القبر و ثوابه ، التاسع : فى معنى الحشر، العاشر: فى اصناف الخلايق فى القيامة و ذكر الجنة والنار ، الحادى عشر: فى صراط الحق ، الثانى عشر: فى تفسير نشر الكتب و كرام الكاتبين و نزول الملائكة على الأبرار و دخول الشياطين على الاشرار ، الثالث عشر : فى الميزان والحساب والعرض والكتاب ، الرابع عشر: فى احوال القيامة و طى السموات و غيرها من حوادث الساعة ، الخامس عشر: فى تفسير النفخ فى الصور، السادس عشر: فى حالات تحدث يوم القيامة ، السابع عشر: فى ابواب الجنان و ابواب النيران ، الثامن عشر: فى الزبانية ، التاسع عشر : فى نعيم الجنة و خازنها ، و فى محن الجحيم و مالكها ، العشرون : فى تجدد الاحوال على اصحاب الجنة والنار.

وقد عرض صدر المتألهين فى المشهد العشرون هذا بحوثاً قيمة عن تجدد الصور الجنانية والاكوان الجحيمية ، و فتح بتلك البحوث ابواباً جديدة للعلم والمعرفة ، و نحن اذا قلنا بتجدد تلك الصور الاخروية فقد قلنا بنوع امتدادى مقدارى سيال للاخرويات ، مع ان البحوث الفلسفية المتعالية تنادى بان دار الاخرة دار ارتفاع الازمنة والامكنة ، و ان لازمان للوجودات العارية عن المواد ، و من هنا يتجلى ان هذه البحوث بحوث متشابهة لا يعلم تأويلها الا عالم ربانى او متعلم على سبيل النجاة ، فتناول هذه البحوث العاصية على العقل والمتشابهة بتهافتاتها

غير الواقعية، تناول لاصعب المسائل التفكيرية، ولا بحث اصعب فى الميتافيزيقا من هذه المباحث المترامية فى التناقضات الجدلية بظواهر معطياتها، وانا اذ اقول ذلك، لست اقول: ان صدر المتألهين فسر تلك البحوث المتشابهة و حل معضلاتها، ولا اقول: انى فسرتها و حللت عقدها، ولكنى اقول: انه بحث هذه المسائل و نجح بمقدار يتيسر له، و خاب باكثر منه، و نحن ايضاً نبحث و ننجح و نخيب كذلك، الا انا قد تعاطينا بتوفيق الله تفسير تلك البحوث المتشابهة و تركيزها على اصول و قوانين و حذف الظاهرة الجدلية عنها، و فتحنا بذلك ميداناً آخر فى الفلسفة و التطبيقات الفكرية للبحوث العقلية، و مما استخلصناه من تلك البحوث و ركزنا عليه عدة مسائل ربوبية، هو انقسام الحركة الى قسمين:

الاول: الحركة بمعناها الذايع المبحوث فى العلوم والفلسفات، و هى الحركة الانفعالية الاستعدادية التى عرفت بالخروج التدريجى من القوة الى الفعل، و باول كمال لما بالقوة من حيث هو بالقوة، و بانها بين محوضة القوة و صرافة الفعل و تشابك معقول للوجود والعدم، وهذه الحركة مختصة بالماديات و يستحيل ان تتصف بها المبرآت عن المادة و الخاليات عن استعداد.

الثانى: هو الحركة الانشائية الناشئة من الجهات الفاعلية من دون معنى القوة والعدم، و بها تتصح حركات اهل الجنة و تجدد الصور الجنانية والامثال البرزخية، و هذا القسم من الحركة يقع بازاء المقادير البرزخية والاخروية الناشئة من الجهات الفاعلية، فكما يمكن ان يكون وراء المادة تمادياً هندسياً فى الطول و العرض والعمق من دون المادة، كذلك يمكن ان يكون هنالك تجدداً وسيلاناً وحركة، وبالتالى تمادياً رياضياً فى الماضى والمستقبل ناشئاً من الجهات الفاعلية، فكما يكون الزمان المادى مقداراً للحركة المادية، كذلك يكون الدهر الملكوتى مقداراً

للحركة الانشائية من دون ان يلزم من ذلك محذور اتصافها باوصاف المادة ، هذا و ان لامثال هذه البحوث مجالا آخر حتى تنحدر فيه البراهين فى سبيل اكتشاف الاسرار الوجودية، ونسأل‌الله لان يوفقنا لتسجيل هذه‌المسائل كى يكون لبعض فقراء الامة المرحومة نصيباً من‌التوفيق فى امداد الحضارة الالهية ونشر اصول العلم و بسط الوية الذكرالحكيم ، و تعريف بعض علوم الذين جعلهم‌الله ائمة يهدون بامره و اوحى اليهم فعل الخيرات و عصمهم من‌الزلل و آمنهم من‌الفتن ، و جعل صلوتنا عليهم و ما خصنا به من ولايتهم ، طيباً لخلقنا و طهارة لانفسنا و تزكية لنا و كفارة لذنوبنا .

المفتاح العشرون : فى‌الرياضيات و تقسيمها الى الحيوانية والانسانية ، و تطبيق الرياضية الانسانية على المجاهدة ، و تقسيمها الى‌الجسمانية والروحانية ، و يتعاطى هذا المفتاح موجزاً عن المسائل السلوكية والاخلاقية التى تشكل احد عناصر الحكمة المتعالية بصفتها بغية يتوخها العقول وتتقرب اليها وتطلبها حثيثا.

***

الى هنا انتهى تحليل الكتاب ، و بتحليله قد تم ما افاد هذا الالمعى فى تلك الابواب ، و لهذا نرجع على ما كنا نقول فى المقدمة : و اما شرح حاله و ثقافته و اساتذته و آرائه الخاصة كما اشرت اليها فى مقدمة كتاب اسرارالايات و انوارالبينات ، فهى مضبوطة فى كتب السير ، لاسيما فى اوائل مؤلفاته العزيزة و مصنفاته الغزيرة ، التى طبع اوطبعناها فى هذه‌الاواخر ، و لنا مقدمة مفصلة على الجزء الاول من تفسيره على القرآن الكريم، التى طبع قبل عشر سنين ، ذكرنا فيها ما لابدان يقال ، من اراد الاطلاع عليها فليراجع الى ذلك التفسير وغيره .

وقد اعتمدت فى تصحيح هذا الكتاب على ثلاث نسخ ، الاولى: النسخة المطبوعة بالطبعة الحجرية فى‌سنة ١٢٨٢ هجرية،

و مع كثرة الاغلاط والتحاريف لايخلو عن النفع فى التصحيح ، والثانية نسخة فتوغرافية من مكتبة ملك ، المحفوظة تحت رقم ١١٢٨ كتبها علم الهدى ابن محمد المحسن المدعو بفيض قدس الله سرهما فى سنة ١٠٨٦ من نسخة قوبلت بالاصل الذى كتبها جده الماجد صدر المتألهين قدس سره ، و هى نسخة مصححة جيده جداً ، و رمزها (ن م) والثالثة نسخة محفوظة من ممتلكات حجة الاسلام سماحة السيد لاجوردى نزيل قم ، و هى ايضاً نسخة مصححة استنسخها الكاتب عن خط مصنفه الكبير، و كتب فى حواشيها : بلغ بحمدالله تعالى مقابلة و تصحيحاً من خط المؤلف الشريف طاب ثراه ، و ليس عليها تاريخ الكتابة و اسم الكاتب ، و رمزها (ن ل) .

و على هذا الكتاب حواش ثمينة و تعليقات عالية و نظرات متفرقة للحكيم الالهى مولانا على بن جمشيد النورى قدس الله سره القدوسى ، التى كتبها تلميذ من تلامذة استاد الاعظم والحبر المعظم الحاج ملاهادى السبزوارى يسمى بصفرعلى فى سنة ١٢٦٠ بالمدرسة الفصيحية فى بلدة سبزوار حين يدرس هذا الكتاب فى محضره الشريف ، واخذنا منها نسخة فتوغرافية ، و هى موجودة فى مكتبة ملك ، المحفوظة تحت رقم ٢٧١١ و هى التى كتبناها و صححناها و وضعناها فى آخر الكتاب .

و قام بطبعه المجمع الاسلامى للفلسفة الايرانية (انجمن اسلامى حكمت و فلسفه ايران در مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگى) وكتبته بعد تصحيحه السيدة الاعوانى ، التى كانت احد الموظفات لذلك المجمع، وقدكدت نفسها فى طريق استنساخه و وضع الفهارس والاعلام له ، و لذا نرجو من الله الحكيم ان يؤتيها و من يكون له يد على هذا الامر ايضاً اجراً عظيما .

ولابد هنا ان اذكر بانى قد وفقت لنقل هذا الكتاب الى اللغة الفارسية بعد جهد طويل و مقاساة محن كثيرة ، وقد اعد

هذه الترجمة مع مقدمة مفصلة عن هذا الالمعى ايضاً للطبع و النشر بعون الله و منته .

و لتعرف يا قارى قيمة هذا الكتاب غاية المعرفة ، فانه كتاب جليل فى فنه ، عجيب فى جنسه ، عزيز فى نوعه ، و المرجو من الله العظيم الامن من الغائلة ، و ان تقبل منى هذا القليل باحسن القبول ، رجاء ان يدخر لى عنده ثمرة صالحة و كلمة باقية ، و يهدينى الى صراط الحق و اليقين ، انه خير موفق و معين .

و كان الفراغ عن تحرير هذه المقدمة فى يوم الجمعة غرة شهر ذى الحجة الحرام سنة ثلاث و اربع مأة بعد الالف من الهجرة النبوية على هاجرها الف الف سلام و تحية ، و انا احوج خلق الله الى رحمة ربى البارى، محمد الخواجوى، احسن الله حاله فى الايام و الليالى .

محمد خواجوى

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله الذی انزل علی عبده الکتاب فیکون للعالمین نذیراً، و ارسل رسوله بالهدی و دین الحق لیکون للخلق الیه مرشداً و دلیلا، وهادیاً و ظهیرا، و لیزکیهم و یعلمهم الکتاب و الحکمة، و یطهرهم عن دنس الخطایا تطهیرا، و ینجیهم عن مضائق الظلمات و حیرة الجهالات، فیکون لهم فی ظلمة الدنیا و وحشة القبور سراجاً منیرا، و الی عالم الجنة والنور شمسا مضیئا و قمراً مستنیراً، فسبحانه من علیم حکیم فاطر قدیم کتب علی نفسه الرحمة، و اثبت علی ذاته العلم و الحکمة، و ازاح عن ابصار احبائه غشاوة الظلمة، و عمی الجهالة، و اجمل الاشیاء کلها فی قلمه و قضائه السابق مبدعا، ثم فصل فی لوحه و قدره اللاحق مخترعا، و اودع اولا فی قلمه العلی العقلی ابداعا وحدانیا، جمیع ماهو مسطور الی یوم القیامة فی لوحه البسیط النفسی النازل المعلولی مفصلا، ثم کتب جمیع ما اوجد الله و سیوجد بیمینه الاعلی فی الکتاب المبین، و اللوح المحفوظ من مس الشیاطین، المکنون عن الحواس و العیون، الذی لایمسه الا المطهرون، ولا یعقله الا العاقلون، و هم الملائکة المجردون، و الاولیاء المقربون، و العقول المفارقون، عن ادناس البشریة بریئون.

ثم انشأ مفردات کتاب الصنع و الایجاد، و مبسوطاتها قبل ان یجمع مرکباتها و محسوساتها، فی دفاتر قابلیتها و استعداداتها، و طوامیر ازمنتها و اوقاتها بمداد المواد، المنقسمة من الهیولی التی هی کالبحر المسجور،

ثم رفع حسابها و جمع كتابها فى صحائف نفوس هى كالرق المنشور، ولما تمت له كتابة الجمع و الافراد، و حصل بذلك كلمات الصنع و الايجاد، أودع فيها من عالم النور و الظهور معانى كلمات الله التى لاتبيد ولاتنفد، ولو نفد البحر قبل النشور، ثم خصص للصعود الى عالم السماء من بين هذه الكلمات و الاسماء، كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت و فرعها فى السماء[1]، لكونها غاية التكوين و الايجاد، و ثمرة شجرة عالم الاضداد، و متحملة رسالة المعانى المشيرة الى دار المعاد.

فكرم هذه الكلمة الادمية بكرامة الخلافة الربانية و تعليم الاسماء، و جعله مسجوداً للملائكة تشريفا و تعظيما، و اطاع له الملك و الملكوت انقياداً و تسليما.

ثم انشأ من هذه الكلمة كلمات تامات و رسالات عقليات، متتالية متعاقبة، كلمة بعد كلمة، و رسولا بعد رسول، كما قال الله تعالى: و ارسلنا رسلنا تترى[2]، متفاضلة بعضها على بعض فى سبيل الارتقاء الى الحضرة الالهية، كما قال تعالى: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض[3]، حتى انتهت نوبة الرسالة الى كلمة جامعة، يشمل جوامع الكلم، صورة اسم الله الاعظم، و القيل الاقوم، و الرسول الخاتم، فيختم به كتاب الرسالة، و يتصل به دائرة الفضل و الاجادة، نقطة دائرة الوجود، و نكتة سر الله فى كل موجود، المقصود بالايجاد اولا، و المبعوث بالتكميل[4] اخرا، المنعوت اسمه فى التورية و الانجيل، و الملقب بحبيب الله على لسان جبرئيل، محمد سيد الخلائق اجمعين و شافع الامم عند الخالق يوم الدين، صلى الله عليه و آله المقدسين المطهرين، اهالى بيوت الوحى و التنزيل، و خزنة اسرار القرآن و التأويل، انوار سماء العصمة و الهداية، و آيات كتاب الامامة و الولاية.

و بعد: فيقول هذا الضعيف المسكين، انزل خلق الله **محمد الشيرازى، المعروف بصدر الدين**، قد صدر امر من آمر قلبى، و وردت اشارة من سر غيبى، قد نفذ حكمه و جزم و جرى قضائه، و حتم باعلان طائفة من رموز

١ـ ٢٤ ابراهيم
٢ـ ٤٤ مؤمنون
٣ـ ٢٥٣ بقره
٤ـ للتكميل نم

الهية، و اظهار مسائل من علوم قرآنية، و اشارات نبوية و اسرار ايمانية، و لوامع حكمية، و لوايح باطنية، متعلقة بعجايب التنزيل السبحانى، وغرايب التأويل القرآنى، هى لعمرى عيون الحقايق الالهية، و كنوز المعارف الربانية، ينكشف منها بدايع مسائل العرفان، ويتشعب منها مجامع جوامع الحكمة والبرهان، ويتفرع منها اصول علم المعانى و البيان، وينجلى منها نفايس خزائن الكتاب و الايمان، و ينفتح بهذه المفاتيح ابواب الجنان، و كنوز الرحمة و الرضوان، قد شرح الله بها صدرى، و نور قلبى، و فتح الله بفضله و امتنانه على القلب ابوابه، و منحنى بجوده و احسانه لمعرفة كتابه، و علمنى بحسن التقدير وجودة التدبير، قرائة آيات القرآن، قرائة تدبر و ايقان، و ما كنت ادرى قبل هذا، ما الكتاب ولا الايمان و لكن الله يهدى من يشاء من عباده، و ينور قلبه بنور هدايته و ارشاده.

على انى قدكنت برهة من الزمان متشوقاً الى اظهار معانى هذا القرآن، فاستسعيت فى مناهجها سوابق الافكار، و استقريت فى مسالكها منازل الابرار، و كنت اشاور نفسى و اردد قداح رأيى فى اخذ هذا المرام، و اقدم رجلا و أؤخر اخرى فى طرف السكوت و الاعلام، فلم ترجح[5] الى احد جانبى الاقدام و الاحجام[6]، لكونه امرا عظيما و خطباً جسيما، انى لمثلى مع قلة المتاع فى المقال، و قصور الباع فيما يتضمن ذلك من علوم الاحوال، و قلب شوشته عواصف الدهور، كاوراق الكتاب المنشور، و تطرق[7] اليه كعلم الحساب انواع من الكسور، و ما عليه الزمان من نكايب الحدثان، و نوايب الحرمان، و ماعليه ابناؤه من ملازمة اغراض النفس و الهوى، و الانكباب على تمشية دواعى الجسم و القوى، و الاعراض عن اكتساب العلم و الهدى، و اقتناء ملكات المروة و التقوى، و الصمم عن مشاهدة انوار هذا الوحى الذى يوحى، و النسيان عن ذكر الله و ملكوت ربنا الاعلى، و عن تذكر اهوال القيامة و احوال المعاد و المثوى، والجهل باحكام النشأتين الاخرة و الاولى.

٥ـ يترجح ن م ٦ـ حجم اى كف

٧ـ تطرقت نم

و لقد نشأت فی زماننا هذا قوم یرون التعمق فی العلوم الالهیة و التدبر فی الایات الربانیة بدعة و وبالا، و مخالفة اوضاع الجماهیر خدعة و ضلالا، لانه لم‌یتعد نظرهم عن ظهور هذه الاجسام، و لم‌یرتق فکرهم و قصدهم عن عمارة هذه الهیاکل و لابدان، فی عالم الظلام، و هم کالذین حکی الله تعالی عنهم بقوله: لهم قلوب لایفقهون بها، ولهم اعین لایبصرون بها ولهم اذان لایسمعون بها، اولئك کالانعام بل‌هم اضل، اولئك هم الغافلون[۸]، فاصبح الجهل باهرالرایات، ظاهر الایات، فانکروا العلم و اهله، و استرذلوا العرفان و فضله، و انصرفوا عن الحکمة و الدین متزاهدین[۹]، و منعوا البحث عن طلب الیقین معاندین، و لشؤم سیرتهم الفاسدة، و خبث سریرتهم المعاندة، قد ضاعت السیر العادلة، و شاعت الاراء الخبیثة الباطلة.

فاقعدنی الایام عن الاقدام، و حجبنی الدهر عن البلوغ الی هذا المقام، و کنت مدة علی هذه الحال بهذه المنوال، ممسکاً عنان اللسان عن المقال، و فارس الکلام عن التجوال، لم‌اجد من جانب الحق لاظهار ماجاد به باعثا یوجب الاظهار، ولارغبة یدعوا التصریح و الاشعار الی ان عن[۱۰] لی نورالاستخاره مرة بعد اخری بالاشارة وجدد لی داعیة‌الحق کرة بعد اولی فی الانارة، بشعلة ملکوتیة آنست من جانب طور القدس نارا، لعلی اتیکم یا اهل التجرید و اصحاب التفرید منها بخبر او جذوة لعلکم تصطلون، و بآیات ربکم تهتدون.

فلما اقبلت بوجه القلب علی شاطیء الواد الایمن فی البقعة‌المبارکة، متوجها بشراشر جنوده و قواه العقلیة و الحسیة، و عساکره العلمیة و العملیة، منحنی صاحب قدس اللاهوت، و مالك ملك الملکوت عند ذلك فتحاً جدیداً، و جعل بصر البصیرة بنوره حدیدا و فتح للقلب فتحاً قریبا، و نصر الله نصراً عجیباً، فاهتز الخامل من نشاطی، و تموج الساکن من انبساطی، و انکشف لی ایضاً فی هذا الفتح الجدید، من ابراز کتابه المجید،

۸ـ ۱۷۹ اعراف ۹ـ زاهدین نم

۱۰ـ ای ظهر امامه

الذی هو تنزيل من عزيز حميد، كنوز من رموز حقايق لايهتدی من العقلاء الی مغزاها، الا اوحدی زكی صبور، ولايصل الی اغوارها من الحكماء، الا من تعلم علم السباحة فی البحور، و يعرف منطق الطيور، و يفهم لسان الملكوت، و يمنح عليه خبايا الجبروت، و خفايا اللاهوت، ولاينتفع احد منها كثير الانتفاع الا من امعن فی الخلوات، و اتعب نفسه فی الرياضات، مع اعراض شديد عن عادات الخلق و رسومهم، و توحش تام من متابعة الجمهور فی اخلاقهم و علومهم، حتی احاط برموز السابقين، و اهتدی بعلوم المتقدمين، و وقف علی خفيات سراير الاولين، و نقاوة زبر الحكماء الماضين، ومجامع كتب الأنبياء و المرسلين، اذقد جمع الله فی القرآن المبين، خلاصة علوم الاولين و الاخرين، و زبدة احوال النبيين، و اذواق الأولياء السالكين سلام الله علی نبينا و آله و عليهم اجمعين.

فقلت عند هذا الفتح لنفسی: هذا اوان الشروع فی ذكر اصول يستنبط منها الفروع، و تحلية الاسماع بجواهر المعانی الفايقة و ابراز الحقايق بصورها المعجبة الرايقة، ملتزما للقوانين الحكمية و البراهين العقلية، حافظا للاوضاع، رامزاً فی مقامه، مشبعاً فی مقام الاشباع، معرضا عن الخوض الكثير، فيما يتعلق بظواهر التفسير، و دقايق العربية الا بقدر يسير، يضبط به ما نحن بصدده من حقايق التأويل و التنوير، دون البسط فی تلك الاقاويل علی ماهو عادة اهل التفاسير، فانه قد عين الله لذلك اقواما اخرين زادوا فی التقرير[11]، فلهم الظهر والحد، و لنا البطن و المطلع، و قد قيل: من فسره برأيه فقد كفر.

و اما التأويل فلا تبقی و لاتذر، فجاء بحمد الله كلاماً لاعوج فيه، ولااضطراب و لاارتياب يعتريه، قريباً من الافهام، مع غاية علوه، عاليا فی المقام، مع دنوه، فانت ايها العاقل المنصف، اذا اردت النظر فی علم القرآن وحكمة الله و اصول الايمان، اعنی الايمان بالله وملائكته وكتبه و رسله و اليوم الاخر، فانك تحتاج الی ان ترجع الی حفظة اسرار القرآن و معانيه، و تقصد اهاليه و حامليه، و تسئل اهل الذكر عمافيه، لقوله جل اسمه،

11- التقدير نم

فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون[١٢]، كما تقصد فى ساير العلوم و الصنايع الى اهلها، فقد قيل: استعينوا على كل صنعة باهلها، فاذا رجعت اليهم فانظر فيما قالوه، و تدبر فيما وصفوه، من حقايق الاصول والاركان، التى انت مقر بها لساناً، و مؤمن بها قلبك ايماناً، فاذا تدبرت فيه تدبراً شافياً، و تأملا وافيا، فميزه ببصيرتك التى انت مفطور عليها، و اعرضه على عقلك الذى هو حجة الله عليك، و القاضى الجالس بين يديك، بل بين جنبيك، فان وجدته ايها الناظر[١٣] مخالفاً لما اعتقدته و فهمته بالذوق السليم، فلا تنكرنه، و فوق كل ذى علم عليم[١٤]، و افقهن ان من احتجب بمعلومه و انكر ماوراء مفهومه، فهو موقوف على حد علمه و عرفانه، محجوب عما هو فوق طور عقله و ايمانه، و الحق اوسع و اعظم من ان يحيط به عقل وحد، و اجل واعلى من ان يحضره عقل دون عقل[١٥]، فاخرج ايها العاقل من بيت حجابك و عتبة بابك، و اخلع عنك لباس اهل الزور و الجاهلية، و انطلق عن القيود الرسمية و العقايد العامية و الاراء الظاهرية، ولاتضغ الى المجادلات الكلامية، ولاتكن ممانسوا الله فانساهم انفسهم[١٦]، و حالهم كما حكى الله تعالى بقوله: فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم، و جعلنا قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه، و نسوا حظاً مما ذكروا به، ولاتزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا[١٧].

و انظر و تدبر فى معانى هذا الكتاب الذى هو قرة عيون اولى الالباب، فقد حان اوان التفصيل و وقت التأويل، وقرب الموعد والرحيل، و لقد جئنا هم بكتاب فصلناه على علم هدى و رحمة لقوم يؤمنون، هل ينظرون الا تأويله؟، يوم يأتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل فهل لنامن شفعاء فيشفعوا لنا، او نرد فنعمل غيرالذى كنا نعمل، قد خسروا انفسهم و ضل عنهم ما كانوا يفترون[١٨]، و لاتشتغل ايضا بترهات المتصوفة، ولاتركن

١٢ــ ٤٣ نحل
١٣ــ الفاطن نم
١٤ــ ٧٦ يوسف
١٥ــ عقد دون‌عقد نم
١٦ــ ١٩ حشر
١٧ــ ١٣ مائده
١٨ــ ٥٢ و ٥٣ اعراف

الى اقاويل المتفلسفة، و هم الذين، اذا جائتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم، و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن[١٩]، وقانا الله و اياك خليلى من شر هاتين الطائفتين، ولاجمع بيننا و بينهم طرفة عين، هم قوم يشقى بهم جليسهم، ولايزال فى الوحشة انيسهم، و افرغ قلبك عن كلماتهم، مهاجراً الى سماع كلام الله، و مشاهدة اياته الكبرى، و ملاحظة ما اوحى الى رسوله فى ليلة الاسرى، من ملكوت ربنا الاعلى، فان ادركك الموت فى الخروج عن بيت نشأتك الاولى و حيوتك الدنيا، الى الفطرة الاخرى، فقد وقع اجرك على الله، بل الله مولاك و جزاك فى اخراك، كما قال: ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله[٢٠].

قال بعض الحكماء: من اراد الحكمة الالهية، فليستحدث لنفسه فطرة اخرى، و قال افلاطون: مت بالارادة تحيى بالطبيعة، و قال المسيح النورانى على نبينا و عليه السلام: لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين، و قال نبينا الخاتم صلى الله عليه و آله: موتوا قبل ان تموتوا، و قال امامنا الاتم الاكرم، عليه سلام الله الملك الاعظم: الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا، و فى الحديث: ان الله يحب الشجاع، ولو على قتل حية، و ليست الحية مثل نفسك، فاقتلها و اخلص عن سمية عقايدها الباطلة، و آرائها الخبيثة، او سخرها حتى يكون مسلما بيدك، فالقها اولا من[٢١] يمينك كعصى موسى، ثم خذها بيدك اليمنى، عند عودها الى سيرتها الاولى، و فطرتها الاصلية، فاذا هى حية بالحيوة العقلية، تسعى الى المعاد و المثوى، و ان لم يتفق لك ايها الراغب الى طلب الحق و علم الاخرة و الاولى، احد من اهل هذا الشأن، حتى تسئله ماهو المبتغى من علوم القران، فعليك بمطالعة هذا الكتاب، الحاوى لقوانين نافعة فى علوم التنزيل، المحيط بقواعده مشيرة الى اسرار التأويل، المسمى **بمفاتيح الغيب** لفتح خزاين العلوم، المبرأة عن الشك و الريب، و نيل جواهر بحار القران، و درر اسرار

١٩ــ ٨٣ غافر ٢٠ــ ١٠٠ نساء
٢١ــ عنك نم

كلام الله و فتق اصداف مبانيه، و أخذ غرر معانيه، و حل معضلاته و فهم مشكلاته، مبتدياً بتصفية نفسك وتزكيتها عن هواها، فقد افلح من زكيها، وقد خاب من دسيها[٢٢]، فاستحكم اولا اساس المعرفة بالتقوى،ثم ارق ذراها، والا فكنت ممن اتى بنيانه من القواعد فخر عليهم السقف اذا اتاها، فان احللت بالعناية الربانية عقد مشكلاتها، و فتحت بالهداية الالهية ابواب معضلاتها، فاشكر ربك علىقدر ماهداك اليه من اسرار التنزيل، و احمده على ما اسبغ عليك من علوم التأويل.

ولقد اتيتك بما يمكنني من الاسرار، التى مازالت العرفاء الكبار و الحكماء اولى[٢٣] الايدى و الابصار، كتموها عن اهل الاغترار، ولما كثرت الاغيار، وجب صون الاسرار عن الاشرار، الا انى لماناج بها الا[٢٤]الصدور المنشرحة بالنور، لاالقلوب القاسية بظلمات عالم الغرور، فى صدور مضيقة كالقبور، فعليك يا خليلى بتقديسها عن القلوب القاسية الميتة، و احذر عن استيداعها الا الصدور[٢٥] المنشرحة، و الانفس[٢٦] الزكية الحية، و اتل قوله جل ذكره: ولاتكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم، و كثير منهم فاسقون[٢٧]، و قوله: افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله، اولئك فى ضلال مبين[٢٨].

و المرجو من فضل الله العظيم، الامن من الغائلة[٢٩]، لانى استخرته فى امضاء هذه الداعية، رجاء ان يذخرلى عنده ثمرة صالحة و كلمة باقية، و المأمول من كرمه العظيم و احسانه الجسيم، ان يجعل لى لسان صدق فى الاخرين، و يهدينى الى صراط الحق و اليقين، انه خير موفق و معين، و لايخيبه بالرد السائلين.

الهى لاتوآخذنى بالنقصان الامكانى، ولاتعاقبنى بالنسيان الانسانى،

٢٢ــ ١٠ شمس

٢٣ــ اولوا نم

٢٤ــ اهل الصدور نم

٢٥ــ للصدور نم

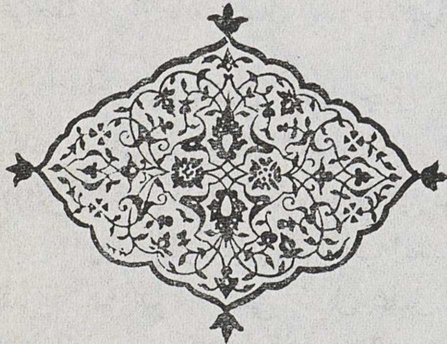
٢٦ــ للانفس نم

٢٧ــ ١٦ حديد

٢٨ــ ٢١ زمر

٢٩ــ اى الشر والحقد الباطن

و اجعلنى بفضلك ممن لاينظر الا اليك، ولايرغب الا فيما لديك و اعذنى بلطفك ان اضل او اذل فيما اتى و اذر، و ان اركن الى الذين ظلمـوا فتمسنى النار يوم العرض الاكبر، فان افتخرت فيما انعمت على فقد امرت و اما بنعمة ربك فحدث[٣٠]، و ان استغفرت فيما اسرفت على نفسى فقد قلت: ومن يعمل سوءاً اويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجدالله غفوراً رحيماً[٣١]، ولنشرع فى مصادرات يتعطاها علم التأويل، و مقدمات يعين فهمها على فهم معانى التنزيل، فان كل علم له ماهية و موضوع، و مباد و مسائل و غاية، يجب على الطالب ان يعلم ماهو، و فيم هو، و مم هو، ولم هو، لنوردها فى فواتح، هى للعلوم الحقيقية مفاتيح، و هى عشرون.



٣٠ـ ١١ اضحى ٣١ـ ١١٠ نساء

المفتاح الاول

فی اسرار الحكمية المتعلقة بالقرآن على طريق اهل العرفان و فيه فواتح:

الفاتحة الاولى

فی صفة القرآن ونعته بلسان الرمز والاشارة

قوله تعالى: لو انزلنا هذا القران على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشيةالله، و تلكالامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون[1]، وقوله صلى الله عليه و آله: القران غنى لافقر بعده، ولاغنى دونه.

اعلم ايها القارى: ان القران اذا رفع نقاب العزة عن وجهه، وكشف جلباب العظمة و الكبرياء عن سره، يشفى كل عليل داءالجهل، و يروى كل غليل طلب الحق، و يداوى كل مريض القلب بعلل الاخلاق الذميمة المزمنة، و اسقام الجهالات المهلكة، و قد روى عنه صلى الله عليه و آله: و الله القران هو الدواء، و القرآن هو حبل الله المتين الذى نزل الى هذا العالم الاسفل لنجاة المقيدين بسلاسل التعلقات، و اغلال الاثقال و الاوزار، من حب الاهل و الولد و الوطن والمال، و شهوة الفرج والبطن، و الحرص و طول الامال، و هو مع عظم قدره و مأواه، و رفعة سره و معناه، مما يلبس بلباس الحروف و الاصوات، و اكتسى بكسوة الالفاظ

١ـ ٢١ حشر

و العبارات، رحمة من الله و شفقة على خلقه، و تأنيساً لهم، و تقريباً الى افهامهم، و مداراة معهم، و منازلة الى اذواقهم، و الافما للتراب و رب الارباب.

ففى كل حرف من حروفه الف رمز و اشارة و غنج و دلال، وجلب قلوب لاهل الاحوال، فوقع النداء من العالم الاعلى، لتخليص الاسراء من هذه المهوى و سجن الدنيا، بقوله: و ذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين[۲]، فبسطت شبكةالحروف و الاصوات مع حبوب المعانى لصيد طيور السموات، و لكل طير رزق خاص يعرف ذلك منشئها و مبدعها، و انما الغرض الاصلى اصطياد نوع خاص منها برزق مخصوص، و هوالمقصود من بسط الشبكة فى الارض دون غيره، سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون[۳]، والافما من رزق الا ويوجدفى القران قسم منه، لقوله تعالى: ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين[٤]، فكما يوجد فيه من حقايق الكلم و طرايف الحكم، التى معرفتها غذاء الارواح و قوت القلوب، فكذلك يوجد فيه المعارف الجزئية و الادوية الصورية، من القصص و الاحكام، و هى ما ينتفع به المتوسطون فى درجات النجاة و العوام، و فيه ايضاً ما به صلاح الدارين الدنيا و الاخرة، و ما به صلاح هذه النشأة، كالقصاص و الديات و المناكحات و المواريث، ففيه الاغذية المعنوية و الصورية، و الاقسام الاخروية و الدنيوية، متاعاً لكم و لانعامكم[٥]، فما من شىء الا و فيه تبيانه و بيانه، ولو كان من باطنك طريق الى عالم الملكوت، لتعرف كونه تبيانا لكل شىء.

و اعلم ان خطابات القران، مما يختص باحباء الله المتألهين، و اوليائه المقربين، لا المبعدين الممكورين، و الجاحدين المنكرين، ممن ليس لهم نصيب من رزق معانى الايات المبين، الا قشور الالفاظ، لانهم عن السمع لمعزولون[٦]، و لو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم، و لو اسمعهم

۲ـ ذاريات ۵۵
۳ـ بقره ٦
٤ـ انعام ۵۹
۵ـ نازعات ۳۳
٦ـ شعراء ۲۱۲

لتولوا وهم معرضون[٧].

ثم لايخفى على ذوى الحجى، ان تولى ابى‌لهب و ابى‌جهل عن فهم القران، و اعزالهم عن السمع مع عربيتهم و قرابتهم الجسمانية، ليس لانصرافهم عن الصرف و اللغة، تنحيهم عن‌النحو و الفصاحة،ولا لانحرافهم عن اسلوب البلاغة، و عدولهم عن قوانين العبارة، ولا لاجل الصمم فى اذانهم، و العمى فى عيونهم، وفقد القلب عن صدورهم، و لكن العناية ماسبقت لهم بالحسنى، و الله ان ابصار الجاحدين لانوار الحق لفى‌عيونهم، و ان اسماعهم فى اذانهم، و ان قلوبهم فى صدورهم، ثم و الله انهم صم بكم عمى فهم لايعقلون[٨]، فانها لاتعمى الابصار، و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور[٩]، عن ادراك‌الحق، فلاهل‌القران خاصة اعين يبصرون بها، ولهم آذان يسمعون بها، ولهم قلوب يعقلون بها، دون غيرهم من الذين هم عمى القلوب عن مشاهدة الانوار، صم العقول عن استماع ذكر الله و احبائه، بكم الارواح عن استدعاء القرب من الحبيب الاول.

ولقد ورد فى الحديث النبوى صلى الله عليه و آله، انه قال: لو لاتزييد فى حديثكم، و تمزيج فى قلوبكم، لرأيتم ماارى، و لسمعتم ما اسمع، فالحمد لله شكراً، حيث انعم احبائه و اوليائه بتلك القلوب و الالسن، و الاذان و الاعين، و جعلهم بادراك الحقايق مشروحى الصدور، وليس لغيرهم من هذه الاذواق، لرين قلوبهم و ضيق صدورهم التى كالقبور، الا القشور، ولاينال بالقشور الا القشور، ولايدرك النور الا بالنور، ومن لم‌يجعل‌الله له نوراً فماله من نور[١٠]، وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه، وفى اذانهم وقراً[١١]، و جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لايبصرون[١٢]، فكما ان السماع قد يكون مجازياً وقد يكون حقيقياً، و الاول مثل قوله تعالى: فاجره حتى يسمع كلام الله[١٣]، والثانى مثل قوله تعالى: انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم

٧ــ انفال ٢٣
٨ــ بقره ١٧١
٩ــ حج ٤٦
١٠ــ نور ٤٠
١١ــ انعام ٢٥
١٢ــ يس ٩
١٣ــ توبه ٦

الدعاء[١٤]، فكذلك حال الصبى و الفقيه[١٥]، فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا[١٦]، ان اباجهل و نظرائه، و شعراء العرب فى الجاهلية، مع عربيتهم و براعتهم فى تلفيق الالفاظ و نظم الابيات، لميسمعوا ولو حرفاً من هذا القران، ولميفقهوا كلمة واحدة لعدم حواسهم الباطنة، التى هذه الحواس قشور و اغطية منها، وما يذكرالا اولوا الالباب[١٧]، ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب[١٨].

فانتبه يا حبيبى ان كنت ذاقلب من مرقد الغافلين، و استيقظ من مضجع النائمين، و قم مقام المصلين، رافعا يديك بالتكبير و التهليل، و اشكر ربك ايها المسكين، واحمدالله تعالى حيث انه مع غاية جلاله[١٩]، و عظمته مانسيك، مع ما انت عليه من الحقارة و القصور و العجز و الفتور، فارسل اليك رسولا كريماً و سراجاً منيراً، و انزل عليك كتابا مبينا و نوراً وهدىً و شفاء، و جعل لك صراطا مستقيماً و حبلا متيناً، و سلما من الارض الى السماء، لينجيك من سجن الدنيا و العذاب الادنى، و صحبة الاضداد ومقارنةالموذيات، التى لاتزال تلسعك و تلدغك، لكنك لاتشاهدها بهذه العين ولاتحس بايلامها مادام هذا الكون الدنياوى، لاسكار الطبيعة و تخدير الجسم، عناية من الله و امهالا لك، مدة لتحصيل الزاد للمعاد، لان جملة[٢٠] الاشياء هى من اسباب معيشتك الاخرى، و لاعيش الاعيش الاخرة لكن لما افتقرت قبل الوصول الى الاخرة من العبور الى الدنيا، لتوقف الاخرة على الاولى، توقف الثمرة على الشجرة، و الحيوان على النطفة، و توقف الغاية على الحركة، و العقل المستفاد منا على الحس، كما قيل: من فقد حساً فقد علماً[٢١]، كقوله تعالى: ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون[٢٢]، فكما خلق الله لك اسبابا سماوياً مع حركاتها و اوضاعها، و اخرى ارضية مع صورها و موادها، كما قال ايضا مخاطباً لافضل البشر:

١٤ـ نمل ٨٠
١٥ـ البصر و الفقه نم
١٦ـ نساء ٧٨
١٧ـ بقره ٢٦٩
١٨ـ زمر ٢١
١٩ـ جلالته نم
٢٠ـ جملة هذه نم
٢١ـ حساً فقد علما نم
٢٢ـ واقعه ٦٢

لولاك لما خلقت الافلاك، فخلق الله الافلاك و الاركان لاجل الانسان، فكذلك خلق فيه دواعى طبيعية، و اغـراضا نفسانية، و شوائب شهوانية و غضبية، كل ذلك لان يكون آلاتاً مستعملة لسفره، و اسبابا مهيجة لعبره ودواعى لعروجه الى موطنه ومستقره، ومؤكدات لخروجه الى سبيل ربه الاعلى، و مشاهدة اياتــه الكبرى، فهو ثمرة شجرة الوجود، خلق لاجلـه الكل، و خلق هو لاجل الملك المعبود، و قال: وما خلقت الجن و الانس الاليعبدون[۲۳]، وفى الخبر: خلقت العالم لكم، و خلقتكم لاجلى، فالقران هو حبل الله المتين، نزل من السماء لنجاة المقيدين، فى مهوى النازلين و مهبط الشياطين، و هو نور من انوار الله، فيه هداية السالكين، و بـه العروج من اسفل العوالم الى اعلى منازل العليين، و ارفع مراتب القاعدين فى مقاعد الصدق و اليقين، فاقرأ يا مسكين وارق، و تدبر فى معانيه وتنور، و اصعد الى آل طه و يس، و الافستغرق فى بحر[۲۴] الظلمات، و تحشرمـع الشياطين، و تحترق بالنار تلسعك الحيات و الثعابين.

الفاتحة الثانية

فى الاشارة الى سر الحروف

اعلموا ايها الاخوان الالهيون المعتنون بامر غرايب القرآن المبين، ان فهم غرايبه مما لم يتيسر بالحقيقة الا لمن دارس علم اليقين، و تعلم فى مدرسة آل يس، و مكتب اهل الصفوة للذكر الحكيم، و قرائة الكتاب المبين، ممن كان معلمه علمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً[۲۵]، و مؤدبه ادبنى ربى فاحسن تأديبى، و كاتب لوحه بالقلم، و مصور صحيفة نفسه بالعلم و الحكم، هو ربك الاكرم، الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم[۲۶]، لابسبب من اسباب آخر، من فكر وقياس او رواية و سماع بـل بان يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم.

و اول مايظهر فى مكتب التقديس، لاطفال الارواح و اولاد روح

۲۳ــ ذاريات ٥٦
۲٤ــ بحار نم
۲٥ــ نساء ۱۱۳
۲٦ــ علق ٤ و ٥

القدس، ما معنى الكتابة و الرقم، و اللوح و القلم، و النون ومايسطرون، و معنى حروف الجمل و الحروف المقطعة القرانية، و الكلمات المفردة و المركبة الفرقانية، فان العناية الربانية لما تعلقت بتربية اولاد العقول، افادلهم رزقهم من البان ضروع التقديس، و اذاق لهم من لطائف عالم الرحمة و الرضوان، و تحف الملكوت و هدايا الجنان، اغذية لطيفة فى كسوة الحروف المفردة، على طريق الرمز و الاشارة، الى مقاصد اهل البشارة، لئلا يطلع عليها الاغيار، و من لم يكن لهم اهلية الارتقاء الى عالم الاسرار، فكتب الله فى الواح ارواحهم حروفا مجملة، و مقطعات مفردة، لعلهم يذكرون، و بصنايع آبائهم يصنعون، و على مثل كتابهم و قرائتهم يكتبون و يقرؤن، و الى منازلهم و مناصبهم يرتقون، لقوله صلى الله عليه و آله: اقرأ، و ارق، و هذه الحروف المقطعة النورانية تسمى فى عالم السر و الخفى بالحروف المجملة و حروف الجمل، و فى ذلك العالم يصير الحروف المتصلة منفصلة، لانه يوم الفصل و التميز، و ان كان يوم الجمع ايضاً باعتبار لقوله تعالى: هذا يوم الفصل جمعناكم و الاولين[٢٧]، وقوله: ليميز الله الخبيث من الطيب[٢٨]، و قوله تعالى: يوم الجمع لاريب فيه[٢٩]، فاهل الدنيا لكونهم فى مقام الجمعية الصورية و التفرقة المعنوية، شاهدوا الحروف المختلفة متصلة، و شاهدوا الحروف الواحدة بالنوع، حروفا متعددة بعدد الاشخاص الكثيرة، فاذا نظروا الى حروف يحبهم و يحبونه[٣٠]، يرونها هكذا متصلة الانواع، متفرقة الاعداد، و لكن الذين تجردوا عن الدنيا، و انكشف عنهم الغطاء، و انقشع عن وجه بصيرتهم سحاب الامتراء، و ظلمة العمى، يرون هذه الحروف بالبصيرة الباطنة هكذا، ى ح ب ه م ، ثم اذا ارتفعوا عن ذلك المقام الى مقام اعلى، يرونها نقاطاً، وفوقه مقام اخر لايفهم العبارة بالمشافهة دون المشاهدة،ولايشرحه الاشارة بالبيان دون صريح العيان.

فاول علامة من ارتفع عن هذا المنزل الادنى و خلص عن حجب

٢٧ـ مرسلات ٣٨
٢٨ـ انفال ٣٧
٢٩ـ شورى ٧
٣٠ـ مائدة ٥٤

المشتغلین بشواغل الدنیا، ان ینکشف علیه معرفة الحروف المقطعـة، و کیفیة نزولها فی لوح القرآن کما اشار الیه بقوله تعالی: لقد وصلنا لهـم القول لعلهم یتذکرون[۳۱]، هذا مقام لقوم، و اشیر الی مقام قوم اخر بقولـه قد فصلنا الایات لقوم یعلمون[۳۲]، فقد انجلی لك ایها السالك المسکین، ان اول ما یرتسم فی لوح القاری المبتدی حروف التهجی، لیستعد بذلك الارتسام و الانتقاش لتلاوة آیات الله، المکتوبة فی الصحیفة الالهیة، و یطیع امرالله الذی امر به رسوله بقوله: اقرأ باسم ربك الذی خلق[۳۳]، و امرنا بقوله : فاقرؤا ماتیسر من القران[۳۴]، و عند ذلك یسهل علیه قرائة القرآن و تذکره، ولقد یسرنا القران للذکر فهل من مدکر[۳۵]، و حینئذ تیسر له حفظ القران بتیسیر الله و حفظه ایاه له، کما قال: و انا لـه لحافظون[۳۶]، ویکون قلبه مزیناً بزینة الکواکب الایات، محفوظا فـی سماء عصمة القران، عن اختطاف مردة جنود الشیطان، و حفظناها من کل شیطان رجیم، من استرق السمع[۳۷].

و جملة القول، ان من لم‌یظهر علیه سلطان عالم الاخرة، و لم‌یقم عن قبر هذه النشأة، لم‌یطلع علی معانی رموز القران، و لم‌یحدث معه حروف المقطعة، ولم‌یتجل له وجه قائله و مبدیه، و عظمة منشأة و مملیه، فانتبه یا مغرور، و قم من مرقدك یا ممکور، حتی نسافر معك فی سبیل الله، ونتجامع بالجمعیة الایمانیة، فان المسافر یحتاج الی رفیق یساعده وقتاً، و صدیق یصدقه رده، لقوله صلی الله علیه و آله: ید الله مع الجماعة، و قدرته نافذة، فارکب معنا فی سفینة النجاة التی بسم‌الله مجریها و مرسیها[۳۸]، و الـی ربك منتهاها[۳۹]، لاتبال بماتحید عن المشهور، و یخالف ما علیه الجمهور، فانهم سکان هذا المنزل، و انت المسافر الحال المرتحل، و المسافر لابد وان یخالف عادته عادة اهل المنزل، فلاترکن الیهم، ولاتجلس مع الذین

۳۱ـ قصص ۵۱
۳۲ـ انعام ۹۷
۳۳ـ علق ۱
۳۴ـ مزمل ۲۰
۳۵ـ قمر ۱۷
۳۶ـ حجر ۹
۳۷ـ حجر ۱۷
۳۸ـ هود ۴۱
۳۹ـ نازعات ۴۴

اتخذوا القران مهجوراً، و هم الذين وبخهم الله بقوله: فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا[٤٠]، وشكى عنهم رسوله اليه: يا رب ان قومى اتخذوا هذا القران مهجوراً[٤١]، رب رجل اديب اريب عاقل فصيح، له اطلاع تام على علم اللغة و الفصاحة، و اقتدار كامل على صنعة المناظرة، و طريق المجادلة مع الخصام فى علم الكلام، و هو مع براعته فى فصاحته لم يسمع حرفا من حروف القران بماهو قران، ولافهم كلمة واحدة.

فانت ايها المشعوف بعلوم الدنيا، المعرض عن علوم الاخرة، اعلم انك لم تخرج بعد الى الان قدما من عتبة بابك، الذى انت معتكف فيه الى طلب الحق، و لم ترغب فى طريق معرفته، والاطلاع على اسرار مملكته، و الوقوف على معانى كتبه و كلامه، و لم تحصل بعد مفردات حروف رسالته، التى انزل اليك، و معبودك متوجه اليك من سماء عظمته و احديته، ناظرا اليك بعين عنايته و صمديته، ليجذبك بجذبة ارجعى الى جوار قدسه و كرامته، و انت مشغول اليهم باسباب الجدل و الخلاف، و طلب الرياسة بالخراف،و التقلب فى البلاد و الديار، و التبسط فى الاسفار، لطلب الاسانيد العالية للتفاخر و الاشتهار، اما علمت ان ذلك لحرمانك عن فهم اسرار اليقين، و الاطلاع على سر كلام الله المبين؟ و كذلك حال المغترين بلامع سراب الحكمة، المحرومين عن شراب ماء المعرفة فى انهار آيات القران و جداول احاديث سيد الانس و الجان، و سواقى كلمات اوليائه و اهل بيته الطاهرين، سلام الله عليه و عليهم اجمعين كما اشير اليه بقوله تعالى: انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها[٤٢]، فاودية الفهوم سالت من فيضه بقدرها، و جداول العقول فاضت من رشحة نهرها فابرزت الاوادى على سواحل الاسماع، جواهر ثاقبة[٤٣] و درراً، و انبتت[٤٤] الجداول على شواطىء الانظار، زواهر ناضرة و ثمراً.

٤٠ــ نساء ٧٨
٤١ــ فرقان ٣٠
٤٢ــ رعد ١٧
٤٣ــ اى ظهر ونشأ
٤٤ــ اى المضيئة

الفاتحة الثالثة

فی الکلام و حقیقته

اعلم ان التکلم مصدر صفة نفسیة مؤثرة، معناه انشاء الکلام، لانه مشتق من الکلم و هو الجرح، وفایدته الاعلام و الاظهار، فمن قال: ان الکلام صفةالمتکلم، اراد به المتکلمیة، ومن قال: انه قائم بالمتکلم، اراد به قیام الفعل بالفاعل، لاقیام الصفة بالموصوف، و المقبول بالقابل، و من قال: ان المتکلم من اوجد الکلام، اراد من الکلام ما یقوم بنفس المتکلم، وهو الهواء الخارج من جوفه من حیث هو متکلم، لاماهو مباین لـه، مباینة الکتاب للکاتب و البناء للبناء، والا فیکون کتابة و تصویراً، لاکلاما و تقریراً.

فاول کلام شق اسماع الممکنات کلمة کن، فما ظهر العالم الا عن الکلام، بل العالم عین الکلام، و اقسامه بحسب مقاماته و منازله الثمانیة و العشرین فی نفس الرحمن، کما ان الکلمات و الحروف الصوتیة قائمة بنفس المتکلم من الانسان بحسب منازله و مخارجه، و الغرض للمتکلم اولا من الکلام، انشاء اعیان الحروف و ایجادها من المخارج، و هو عین الاعلام، و اما ترتب الاثر علی الامر و النهی و الاخبار و التمنی و غیرذلک، فهو مقصودثان غیر الاعلام، و هذه المغایرة انما توجد فی بعض اقسام الکلام، لانه علی ثلاثة اقسام: اعلی و اوسط و ادنی.

فاعلاها مایکون عین الکلام مقصوداً اولیا، ولایکون بعده مقصوداً اخر[٤٥]، لشرف وجوده و تمامیةکونه، و لکونه غایة لمادونـه، و هذا مثل ابداعه عالم الامر بامر کن لاغیر، و هی کلمات الله التامات التی لاتنفد و لاتبید، اذ لیس الغرض من انشائها منه تعالی بامر کن سوی امر الله.

و اوسطها ما یکون لعین الکلام مقصود آخر، الا انه یترتب علیه ترتبا لزومیا من غیرتخلف و انفکاک، کامره تعالی للملائکة المدبرین فی طبقات الافلاک، بما اوجب علیهم ان یفعلوا، فلاجرم لایعصون الله ماامرهم

٤٥- مقصوداً آخرا ن م

و يفعلون ما يؤمرون[٤٦]، و كذلك ملائكة الطبايع الارضية، من الجبال و المعادن و البحار و السحب و الرياح و الامطار و الثلوج وغيرها، و ذلك ان امر الله وصل اليهم، اما بلاواسطة، او بواسطة امر اخر، لابواسطةالخلق، والا لامكن العصيان، و فى قوله تعالى اشارة لطيفة الى هذا المعنى، حيث لم‌يقل: لايعصون الله فيما امرهم، ولم‌يقل: و يفعلون بما يؤمرون.

و ادناها مايكون لعين الكلام مقصود آخر قد يتخلف عنه، و قد لايتخلف، و فيما لايتخلف ايضاً امكان التخلف و العصيان، ان لم‌يكن حافظ عاصم من الخطاء، هذا كاوامر الله و خطاباته للمكلفين من الجن والانس، بواسطة انزال الكتب و ارسال الرسل، و هما مخلوقتان، ففى هذا الامر بالواسطة يحتمل الطاعة و العصيان، فمنهم من اطاع و منهم من عصى، ومع عدم الواسطة لاسبيل الا الطاعة، فاعلى ضروب الكلام هو الامر الابداعى، و هو عالم القضاء الحتمى، وقضى ربك الا تعبدوا الاایاه[٤٧]، و الاوسط هو الامر التكوينى، و هو عالم القدر الزمانى، وكل شىء عنده بمقدار[٤٨]، و الادنى الامر التشريعى، شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا[٤٩].

تمثيل

اعلم ان الانسان الكامل لكونه خليفة الله، مخلوقا على صورته، و هو على بينة من ربه يوجد فيه هذه الاقسام الثلاثة من الكلام، و ذلك لكمال نشأته الجامعة لما فى الامر و الخلق و التحريك، ففيه الابداع و الانشاء و التكوين، فاعلى ضروب الكلام له هو مكالمته مع الله تعالى، و مخاطبة الروحانية عند تلقى[٥٠] المعارف الالهية، واستفادته العلم والحكمة من‌لدن عليم حكيم فتكليم الله اياه، هو افاضة الحقايق، و القاء المعارف عليه، و مقارعته بها سمعه القلبى، و تكلمه مع الله هو استدعاؤه الذاتى بلسان الاستفاضة اياها عنه، و استماعة مقارعة الكلام العقلى بسمعه القلبى، و كذلك

٤٦ـ تحريم ٦
٤٧ـ اسرى ٢٣
٤٨ـ رعد ٨
٤٩ـ شورى ١٣
٥٠ـ ملقى ن م

يكون متكلماً بالكلام الحقيقى اذا بلغ روحه، و خرج من حدود القوة الى درجة العقل بالفعل، الذى شأنه تصوير المعانى العقلية على النفس متى شاء من خزانة ذاته البسيطة، فهو بماصار عقلا بسيطاً قد صار جوهراً ناطقا بالعلوم الحقة، متكلما بالمعارف العقلية، فليس لكلامه هذا مقصودثان غير تصوير الحقايق.

و اوسطها كأمره و نهيه للاعضاء و الالات بواسطة تحريك القوى النفسانية للقوى الطبيعية، فيجرى حكم النفس على القوى و الالات الطبيعية فى مملكة البدن، و قد خلقت كلها مجبولة على طاعة النفس، لايستطيع لها خلافاً، ولاعليها تمرداً، فاذا امرت العين للانفتاح انفتحت، و اذا امرت الرجل للحركة تحركت، و اذا امرت اللسان للكلام و جزمت الحكم تكلم، و كذا ساير الاعضاء، فتسخير الحواس و الاعضاء للقلب الانسانى من وجه، يشبه تسخير الملائكة لله تعالى، حيث جبلوا على الطاعة و الخدمة كما مر، و ادناها فى طلبه و استدعائه لتكوين شىء بواسطة لسان او جارحة، فالمقصود من الكلام هاهنا سواء كان بعبارة او باشارة او كتابة او فعل، شىء آخر غير الكلام، قد يقع وقد لايقع، و مع ارتفاع الوسايط كما فى القسمين الاولين، لاسبيل للمخاطب الا السمع و الطاعة، و ما لم يقع فى الوجود عن امره تعالى بالواسطة ليس بقادح فى كماله، فان الامر التشريعى من الاوامر الالهية بهذا ظهر فى الوجود، حيث امر تعالى عباده على السنة رسله و تراجمة وحيه فى كلامه و فى كتبه، فمنهم من اطاع و منهم من عصى، و بارتفاع الوسايط لامحيص عن الطاعة خاصة، كما قال صلى الله عليه و آله: يد الله مع الجماعة، و قدرته نافذة، و لهذا اذا كان الانسان مجموع الهم، و اجمع قواه حتى صارت كأنها قوة واحدة، نفذت همته، و سمعت دعوته فيما يريد، كما هو حال اهل التقديس.

اشتهار تحقيقى

قال صاحب الفتوحات المكية فى الباب السادس و الستين وثلثمأة: اذا كان الحق هو المتكلم عبده فى سره بارتفاع الوسايط، فان الفهم

يستصحب كلامه، فيكون عين الكلام منه عين الفهم منك، لايتأخر عنه، فان تأخر عنه فليس هو كلام الله، و من لم يجد هذا فليس عنده علم بكلام الله عباده، فاذا كلمه بالحجاب الصورى، بلسان نبى او من شاء الله من العالم، فقد يصحبه الفهم، و قد يتأخر، هذا هو الفرق بينهما، انتهى كلامه، و فيه اشارة الى ضروب كلام الله، فليدرك غوره و ليذعن حسن طوره.

اقول: و للاشارة الى هذه الضروب الثلاثة من كلامه، قال سبحانه: ما كان لاحد ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا[٥١]، فالاول اشارة الى الكلام الحقيقى، الذى يكون عين الكلام مقصوداً اولياً و غاية اصلية، و الثانى اشارة الى كلام يكون المقصود منه شيئاً اخر، لكنه غاية لازمة للكلام غير منفكة عنه، و فى كل من الضربين يكون الفهم لازماً، و الطاعة واجبة، و العصيان مستحيلا، و الثالث اشارة الى ادنى الثلاثة وهو الذى يكون لعين الكلام مقصود ثان مباين الذات عنه، ممكن التخلف، يتطرق اليه الطاعة و المعصية، فافهم هذا: فانه ذوق جميع اهل الله.

الفاتحة الرابعة

فى تحقيق كلام اميرالمؤمنين عليه السلام: جميع القران فى باء بسم الله، و انا نقطة تحت الباء

اعلم هداك الله: ان من جملة المقامات التى حصلت للسايرين الى الله بقدم العبودية، مقام اذا حصل لواحد، يرى بالمشاهدة العينية كل القران، بل جميع الصحف المنزلة تحت نقطة باء بسم الله، بل يرى جميع الموجودات تحت تلك النقطة، و ان اردت مثالا يقربك اليه من وجه واحد الى تحقيق ذلك، فهو انك اذا قلت: لله مافى السموات ومافى الارض[٥٢]، فقد جمعت ما فى السموات و الارض فى كلمة واحدة، و اذا حاولت ذكرها بالتفصيل واحداً واحداً، لافتقرت الى مجلدات كثيرة، ثم قس على نسبة اللفظ الى اللفظ نسبة المعنى الى المعنى، على ان فسحة عالم المعانى و التفاوت بين افرادها مما لايقاس بفسحة عالم الالفاظ و التفاوت بينهما، ولواتفق لاحد ان يخرج من هذا الوجود المجازى الحسى الى التحقق

٥١ــ شورى ٥١   ٥٢ بقره ٢٨٤

بالوجود الیقینی العقلی، و یتصل بدایرة الملکوت الروحانی، حتی یشاهد معنی، و الله بکل شیء محیط[۵۳]، ویری ذاتـه محاطاً بها مقهورا علیها، فحینئذ یشاهد وجوده فی نقطة تکون تحت الباء، و یعاین تلك الباء التی فی بسم الله، حیثما تجلت له عظمتها و جلالة قدرها، و یری انها کیف یظهر ذاتها علی العاکفین فی حظیرة القدس من تحت النقطة التی هـی تحتها، هیهات: نحن و امثالنا لانشاهد حروف القران الا سوادها، لکوننا فی عالم الظلمة و السواد، و ما حدث من مد المداد، اعنی مادة الاضداد، و المدرك لایدرك شیئا، الا بماحصل لقوة ادراکه، فان المدرك و المدرك دائماً من جنس واحد، فالبصر لایدرك الا الالوان، و الحس لاینال الا المحسوسات، و الخیال لایتصور الا المتخیلات، و العقل لایعرف الا المعقولات، فکذلك النور لایدرك لاحد الا بالنور، ومن لم یجعل‌الله له نوراً فماله من نور[۵۴]، فنحن بسواد هذا العین لانشاهد الاسواد القران، فاذا خرجنا من هـذا الوجود المجازی و القریة الظالم اهلها، مهاجراً الی الله و رسوله، و ادرکنا الموت عن هـذه النشآت الصوریة الحسیة و الخیالیة و الـوهمیة و العقلیة العملیة، و محونا بوجودنا **فی وجود کلام الله**، ثم خرجنا من المحو الی الاثبات، **اثباتا ابدیاً**، و من الموت الی الحیوة حیوة **ثانویـة ابدیة، فما رأینا بعد ذلك من القرآن سواداً اصلا، الا البیاض الصرف و** النور المحض، و تحقیقا[۵۵]، بقوله: و لکن جعلناه نوراً نهدی به من نشاء من عبادنا[۵۶]، وعند ذلك نقرء الایات من‌نسخة‌الاصل ومن عنده علم الکتاب.

ایها الرجل، ان القران انزل الی الخلق مع آلاف حجاب، لاجل تفهیم ضعفاء العقول خفافیش[۵۷] الابصار، فلو عرش بـاء بسم‌الله مع عظمته التی کانت له نزل الی الفرش، لذاب الفرش و اضمحل، و فی قوله: لو انزلنا هذا القران علی جبل لرأیته خاشعا متصدعا من خشیة‌الله[۵۸]، اشارة الی هذا المعنی، رحم الله عبداً قال کاشفاً لهذا المعنی: کل حرف فی

۵۳ـ فصلت ۵٤
۵٤ـ نور ٤۰
۵۵ـ تحقیقنا، ن م
۵٦ـ شوری ۵۲
۵۷ـ اخافیش ، ن م
۵۸ـ حشر ۲۱

اللوح اعظم من جبل قاف، و هذا اللوح هو اللوح المحفوظ فى قوله تعالى: نه‌لقران کریم فى لوح محفوظ[٥٩]، وهذا القاف هو رمز الى مافى قولـه: ق والقران‌المجيد[٦٠]، فان‌القران و ان‌كان حقيقة و احدة، الان لهامراتب كثيرة فى النزول، و اساميه بحسبها مختلفة، ففى كل عالم و نشأة يسمى باسم مناسب لمقامه الخاص، و منزله المعين، كما ان الانسان الكامل حقيقة واحدة، وله اطوار و مقامات و درجات كثيرة فى الصعود و اسامى مختلفة، و له بحسب كل طور و مقام اسم خاص.

اما القران ففى عالم يسمى بالمجيد، بل هو قران مجيد[٦١]، و فى اخر اسمه عزيز، انه لكتاب عزيز[٦٢]، وفى آخر اسمه على حكيم، و انه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم[٦٣]، و فى اخر كريم، انه لقران كريم فى كتاب مكنون[٦٤]، ومبين، ولارطب ولايابس الافى كتاب مبين[٦٥]، وحكيم، يس و القران الحكيم[٦٦]، ولـه الف الف مـن اسامى، لايمكن سماعها بالاسماع الظاهرة ولو كنت ذا سمع باطنى فى عالم العشق الحقيقى و المحبة الالهية، لكنت ممن تسمع اسماؤه و تشاهد اطواره.

و اعلم ان اختلاف صور الموجودات وتباين صفاتها وتضاد احوالها، ايات عظيمة لمعرفة بطون القران و انوار جماله و اشعة اياته، و لتعلم اسماء الله وصفاته، قوله، ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها، و ذر والذين يلحدون فى اسمائه[٦٧]، وفى هذه الاية اوجب‌الله على عباده علم الحكمة والتوحيد، و معرفة الافاق، و الانفس، و علم الاسماء و مشاهدة المظاهر و المربوبات، ان فى خلق السموات و الارض و اختلاف الليل و النهار لايات لاولـى الالباب[٦٨]، وهذا الباب من المعرفة مما سلكه العرفاء الالهيون، و الحكماء الاقدمون، و هم الذاهبون الى ان هذه الصور المتخالفة صور اسماء الله تعالى، و ظلال و مثل و مظاهر لما فى العالم الالهى من الصور المفارقة

٥٩ـ واقعه ٧٧ بروج ٢٢
٦٠ـ ق ١
٦١ـ بروج ٢٢
٦٢ـ فصلت ٤١
٦٣ـ زخرف ٤
٦٤ـ واقعه ٧٧
٦٥ـ انعام ٥٩
٦٦ـ يس ١
٦٧ـ اعراف ١٨٠
٦٨ـ آل عمران ١٩٠

الالهیة، و ذلك لان كلما یوجد فی هذا العالم، یوجد فی عالم من العوالم الأعلی علی وجه اعلی[۶۹]، و اشرف منه، وما عندالله خیر للابرار[۷۰].

الفاتحة الخامسة

فی الفرق بین التکلم و الکتابة

قال بعض اهل الکشف و الشهود: ان کلام الله غیر کتابه و فرقوا بینهما، بان احدهما و هو الکلام بسیط، و الاخر و هو الکتاب مرکب، و بان الکلام امری دفعی، و الکتاب خلقی تدریجی، و عالم الامر خال عن التضاد و التکثر و التجدد و التغیر، لقوله: و ما امرنا الا واحدة کلمح بالبصر[۷۱]، وقوله: انما قولنا لشیء اذا اردناه ان نقول له کن فیکون[۷۲]، واما عالم الخلق فیشتمل علی التضاد و التکثر، ولا رطب ولا یابس الا فی کتاب مبین[۷۳].

و اقول: ولاحدان یقول: انهما واحد بالذات متغایران بالاضافة، و هذا انما ینکشف بمثال فی الشاهد و هو الانسان، لکونه علی مثال الرحمن، فانه اذا تکلم بکلام و کتب کتاباً، یصدق علی کلامه معنی الکتابة، و یصدق علی کتابته معنی الکلام، بیان ذلك: ان احداً اذا تکلم و شرع فی تصویر الالفاظ فی الهواء الخارج من جوفه و باطنه بحسب الاستدعاء الباطنی النفسانی، تنفس، و انتقش ذلك الهواء وهو المسمی بالنفس الانسانی، الذی هی بازاء النفس الرحمانی، و هو الوجود الانبساطی، المنبعث عن الباری بالارادة الذاتیة بحسب الاقتضاء الرحمانی، للفیض السبحانی، و تصور بصور الحروف الثمانیة و العشرین و ما یترکب منها، کما ینشأ من الوجود الانبساطی صور الحقایق و الوجودات المقیدة، و ذلك الفیض الوجودی المسمی عند اکابر الصوفیة بالحق المخلوق به، و الوجود المطلق، و هو غیر الوجود المقید، و غیر الوجود الحق، المسمی بالهویة الاحدیة، تعالی

۶۹ــ من‌العوالم، فمافی‌العالم‌الاعلی، اعلی‌و نم۷۰ــ آل‌عمران ۱۹۸

۷۱ــ قمر ۵۰ ۷۲ــ نحل ۴۰

۷۳ــ انعام ۵۹

عن الشبه و الشريك.

فاذا تقرر هذا فنقول: صورالالفاظ لها نسبة الـى الفاعل، اى مـا صدرت عنه، و نسبته الى القابل، اى ما حصلت فيه، فهى باحد الاعتبارين كتابة، و بالأعتبار الاخر كلام، فالصور اللفظية القائمة بلـوح الهـواء الخارج من الباطن، اذا اضيفت اليه اضافة الصورة الى المادة القابلة، و اخذت بهذا الاعتبار فيكون المأخوذ بهذا الاعتبار بالقياس اليه كتابة، و حينئذ يحتاج الى مصدر و ناقش غيره، اذالقابل شأنه القوة و الاستعداد، فلامحالة يفتقر الى فاعل يخرجه من القوة الى الفعل كالنفس الناطقة فى مثالنا هذا، فبهذا الاعتبار يكون المتكلم بهذه الحروف و الالفاظ كاتباً، و النفس الهوائى لوحاً بسيطا، و هذه الحروف و الألفاظ ارقاما كتابية، و نقوشا و صوراً مبصرة مشاهدة بالبصر، و اذا اضيفت اليه اضافة الصورة الى الفاعل المديم، الحافظ اياها، و اخذت بهذا الاعتبار، كان المأخوذ بهذا الاعتبار شخصاً متكلماً ناطقا لاستقلاله بتصوير الحقايق من غير فاعل مباين الذات عنه، لان جهات الفاعلية و القابلية اذا كانت على ترتيب طولى، كان مرجعها امراً واحداً، بخلاف جهتى الفعل و القبـول التجددى، فانهما مختلفان لامحالة، كما حقق فى مقامه، فاذا ظهرت لك صحة كون الصورة اللفظية، المرتسمة فى الهواء كتابة و كلاما، و كون الهواء ايضا كاتبا و متكلما، و باحد الاعتبارين يفتقر الى مصور و هـى النفس الكاتبة، و بالاعتبار الاخر لايفتقر، لانه شخص برأسه، فقس الحال فيما فوقذلك الشخص الهوائى كالنفس الناطقة و ما تحته كالقرطاس، فالنفس المرتسمة فيها الصور العقلية و العلوم النفسانية، لوح كتابى باحد الاعتبارين و بهذا الاعتبار له وجه الى مصور عقلى، و قلم علوى، يصورها بتلك العلوم و الصور، و بالاعتبار الاخر جوهر متكلم ناطق، وله وجه الى قابل يقبل منها الصور، و يسمع عنها الكلام، فافهم ما ذكرته لك، فانه من الواردات على هذا الكاتب، فيه فوائد كثيرة لامجال لذكرها، حرى بان يتصالح فيه اهل المذاهب الكلامية فى الكلام، و يستفاد منه ايضاً كيفية حدوث العالم، اذ نسبة هذا العالم الى البارى عند جماعة كنسبة الكتاب

الى الكاتب، و عند طائفة كنسبة الكلام الى المتكلم، و عند طائفة اخرى نسبة غيرهاتين النسبتين الا لـه الخلق والامر[٧٤]، وفى ذلك ايضاً سر بعث الارواح و حشر الاجساد جميعاً، كما سنشير اليه.

ثم ان الكلام يشتمل على‌الايات، تلك ايات‌الله نتلوها عليك بالحق[٧٥]، فكذا الكتاب يشتمل عليها ايضاً، تلك ايات الكتاب المبين[٧٦]، والكلام اذا تشخص و تنزل صار كتابا، كما ان الامر اذا نزل صار فعلا، كقوله: كن فيكون[٧٧]، فصحيفة وجود العالم الخلقى هى كتاب الله عزوجل، و آياتها اعيان الموجودات، ان فى اختلاف الليل و النهار و ماخلق الله فى‌السموات والارض لايات لقوم يتقون[٧٨]، وهذه الايات البينات انما ثبتت وتبينت فى مواد عالم الخلق و صحايف استعداداتها، لتيسر لاولى الالباب من جهة تدبر الايات الفعلية المنبثة فى الافاق، و التأمل فيها من جهة المشاركات و المباينات التى بينها، ان يتفطن بالايات العقلية، المنبثة فى الانفس، فينتقل من المحسوس الى المعقول، و من الشهادة الى الغيب، و يرتحل من الدنيا الى الاخرة، و يحشر الى الله، كما فى قوله تعالى: سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم، حتى يتبين لهم انه الحق[٧٩].

قـال بعض المحققين العارفين قدس الله ارواحهم و اسرارهم: ان الانسان مادام كونه فى مضيق البدن و غشاوة الحس و سجـن الدنيـا، محبوساً بقيود المكان، و سلاسل الحركة و الزمان، فلايمكنه مشاهدة الايات الافاقية و الانفسية على وجه الكمال، و تلاوتها دفعة الا كلمة بعد كلمة، و حرفاً بعد حرف، ويوماً بعد يوم، وساعة بعدساعة، فيتلو آية ويغيب عنه اخرى، فيتوارد[٨٠]، عليه الاوضاع، ويتعاقب له الشؤون و الحالات، وهو على مثال من يقرء طوماراً، و ينظر الى سطر عقيب سطر اخر، و هذا لقصور ادراكه عن الاحاطة بالجميع دفعة، قال تعالى: و ذكرهم بايام الله، ان فى ذلك لايات[٨١]، فاذا قويت بصيرته، وتكحلت بنور الهداية و التوفيق كما

٧٤– اعراف ٥٤
٧٥– بقره ٢٥٢
٧٦– شعراء ٢
٧٧– بقره ١١٧
٧٨– يونس ٦
٧٩– فصلت ٥٣
٨٠– فيتناوب نم
٨١– ابراهيم ٥

هی عند قیام الساعة، فتجاوز نظره عن مضیق عالم الخلق و الظلمات الی عالم النور، فیطلع دفعة علی جمیع ما فی هذا الکتاب الجامع لصور الاکوان، لن یطوی عنده السجل الجامع للسطور و الکلمات، کما اشیر الیه بقوله: یوم نطوی السماء کطی السجل للکتب[۸۲]، وقوله: و السموات مطویات بیمینه[۸۳]، اشارة الی سعادة اهل الیمین، لان اهل الشمال وسکان دار البوار و النکال و اصحاب الظلمات، لیس لهم نصیب من طی السموات فی حقهم، ولهم من جهنم مهاد و من فوقهم غواش و کذلك من کان من اهل الحجب و الضلالة، و الامراض القلبیة و الاصرار علی الجهالة، لا اقتدار لهم علی مطالعة حقایق الکتب و ایات الله، وهم عنها معرضون[۸٤]، و الاعراض عن سماع الایات اصل کل شقاوة، و مادة کل عذاب الیم، فیکون حالهم ما اشیر الیه بقوله: یسمع ایات الله تتلی علیه، ثم یصر مستکبراً، کأن لم یسمعها، کأن فی اذنیه و قرا فبشره بعذاب الیم[۸٥].

الفاتحة السادسة

فی مبدأ الکلام و الکتاب و غایتهما

اعلم: ان للکلام و الکتابة بدایة و نهایة، ولما کان الانسان مخلوقاً علی صورة الرحمن فلنعمد علیه اولا، و نبین کیفیة صدور الکلام و الکتابة منه و عودهما الیه، ثم نجعل معرفة کلامه و کتابه مرقاتاً لمعرفة کلام الله تعالی و کتابه.

فنقول: ان الانسان اذا اراد ان یتکلم بکلام او یکتب کتاباً، فمبدأ هذه الارادة اولا صورة عقلیة حاصلة فی القوة الناطقة علی وجه البساطة و الاجمال، و ینشأ من هذه[۸٦] القوة اثر فی القلب، و المراد منه هیهنا هو الروح النفسانی، المدبر للبدن الانسانی، لا العضو الصنوبری الشکل، بل هو مظهر ذلك الروح و مستواه بمنزلة العرش الذی استوی علیه الرحمن،

۸۲ـ انبیاء ۱۰٤
۸۳ـ زمر ٦۷
۸٤ـ یوسف ۱۰٥
۸٥ـ جاثیه ۸
۸٦ـ ینشأ هذه ن م

ثم يسرى منه اثر الى الدماغ بواسطة الروح الحيوانى، الذى هو بخار لطيف حاصل من صفوة الاخلاط، كما ان الاعضاء البدنية حاصلة من كدرها، و ذلك الاثر هو الصورة الخيالية للكلام او الكتاب، ثم يظهر اثره و صورته المحسوسة فى الخارج بواسطة الاعصاب الدماغية الخارجة من الدماغ، بان يسرى فيها اثر من الدماغ، و من الاعصاب الى الاوتار و الرباطات المتعلقة بالعضل، فيتحرك بها الاعضاء الادوية، كآلة الذوق، او آلة اللمس، كاللسان و اليد، فيوجد صورة الحرف و الصوت فى صحيفة الهواء المقروع الخارج من الجوف المنقوش بصورة الحروف و الكلمات اللفظيه، بواسطة التقاطيع العارضة له عندالمخارج، او فى صحيفةالقرطاس المكتوب بصورة الحروف و الكلمات الكتابية، و هذا غاية نزوله من عرش القلب او ما هو اعلى منه الى بسيط الصحيفة الهوائية او الارضية، ثم يرتفع منه اثر و صورة الى الصماخ، و هو عضو غضروفى مركب من العناصر الاربعة، و منه بواسطة العضلات و الاوتار الى الاعصاب، و من الاعصاب الى الارواح الدماغية، و منها الى الدماغ، و منه الى القوة الخيالية، و هلم الى الناطقة وما بعدها، فهذا الترتيب‌الصعودى على‌عكس الترتيب‌النزولى، اذا علمت هـذا فقس عليه حـال مبدأ كلام الله وكتابـه و غايتهما بعين المكاشفة، لان هذا من عجايب سر الادمى.

فاعلم: ان حقايق الاشياء ثابتة فى علم الله، بل‌فى‌قلم‌قدرته‌على وجه بسيط مقدس اعلى و اقدس من ساير العلوم التفصيلية، و هى ايضاً مسطورة فى اللوح المحفوظ بل فى عقول الملائكة المقربين، و كما ان المتكلم يتفكر اولا و يخطر بباله صورة مايريدان يتكلم به، ثم يخرجـه من الضمير الى الهواء الخارج فكذلك صورة حكمة الله تعالى و اظهار ما فى علمه المكنون عن اعين الخلق، اذا خرجت من الغيب الى الشهادة، حتى نزلت الى نهاية تدبير الامر، فعند ذلك او ان الشروع فى الصعود اليه والعروج، اليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه[۸۷]، كما قال: يدبرالامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه[۸۸]، فمن نظر الى السماء والارض ومافيهما،

۸۷ـ فاطر ۱۰ ۸۸ـ سجده ۵

و شاهدها بحس البصر، ينطبع صورتها فى قوة بصره، ثم يظهر صورتها فى قلبه، حتى انه لوغمض بصره يرى صورة السماء و الارض فى خياله بحالها و يشاهدها كأنه ينظر اليها، ولو انعدمت السماء و الارض فى انفسهما لانهما حاصلة فى عالم اخر، سلطانه اقوى من ان يزول ما فيه بزوال ما فى هذا العالم، ثم يتأدى من خياله اثر عقلى الى القلب، و يرتقى منه الى القوة العاقلة المتحدة بالعقل الفعال، فيحصل فيه حقايق الاشياء التى دخلت فى العين و الحس و الخيال، فالحاصل فى العقل موافق للعالم الموجود فى نفسه، و نسخة لوحه مطابقة للنسخة الموجودة فى اللوح المحفوظ، و هى القضاء الربانى المسبوق بالقلم الاعلى، و هو سابق على وجودها فى السماء الدنيا و لوح المحو و الاثبات و عالم القدر التفصيلى، و هو سابق على وجودها المكتوب فى صحيفة الاكوان المادية، المكتوبة بمداد المواد الجسمانية، و المتلوة بلسان الاستعدادات او المقامات، فيتبع وجودها الخارجى وجودها الخيالى، اعنى وجود صورتها فى الخيال، و يتبع وجودها الخيالى وجوده العقلى، وبعض هذه الموجودات روحانية و بعضها جسمانية، و الروحانيات بعضها اتم روحانية من بعض، و هذا من لطايف حكمة الله فى خلق العالم وبعثه، ماخلقكم ولابعثكم الاكنفس واحدة[89]، فكان الوجود شخص واحد، دار على نفسه، و صعد الى ذروة الكمال بعد ما نزل منها الى حضيض النقص و الوبال، كنقطة من دايرة دارت الى حيث فارقته، فالغاية فى انزال الكتب و ارسال الرسل، بعث الخلايق و سياقتهم من حضيض الخسة الى اوج الشرف، و هذا هو المقصود الاصلى، و اما عروض الضلالة و طروء الشقاوة للاشقياء و اصحاب الجحيم، فليس مقصوداً اولياً، و انما هو بالقصد الثانى و على سبيل التبعية، كما ان الغرض من وضع الكلام و الكتابة رفع المعانى الى مدارك العقلاء المهتدين، لا المجانين و الضالين و المنحرفين، كما ان الكلام اذا خرج من باطن المتكلم الى ظاهره، ودخل من ظاهره الى باطن المخاطب، فورد اولا فى منزل صدره ثم الى باطنه، فاذا ارتحل من عالم التخاطب و الحركة الى عالم السمع و الادراك، يقع

۸۹ـ لقمان ۲۸

اولا فى قبور الصدور، فلايخلو حاله بعدذلك من احد امرين: لانه اما ان يقع فى صدر ينشرح بانوار معرفة الله و طاعته و الهامات ملائكته، فيكون فى روضة من رياض الجنة قرين ملائكة الله و عباده الصالحين، الزائرين لهذا القبر، و اما ان يقع فى صدر ضيق حرج، مشحون بالشرور و الافات، و موطن للشياطين و الظلمات، و مورد اللعن و الطرد و المقت و العذاب، فيكون فى حفرة من حفر النيران، فان من الصدور المنشرحة بالاسلام، و القلوب المنورة بنور الايمان، ما ينزل لزيارته كل يوم الوف من الملائكة و اهل التقديس، لغاية صفائه و نوره، و من البواطن مايقع فيه كل يوم الف وسواس و كذب و فحش و خصومة و وحشة، فهو منبع الغضب و العذاب الاليم، للظلمة و الضيق و الضنك[۹۰]، كما اشاراليه بقوله تعالى: ولكن من شرح بالكفر صدراً، فعليهم غضب من الله، و لهم عذاب عظيم[۹۱].

الفاتحة السابعة

فى فايدة انزال الكتب و الرسالة على الخلق

اعلم: ان الله لما شرع فى الابداع، و خلق حقايق الانواع، كان عنده علوم جمة من غيرمحال، و كلمات كثيرة من غيرآلة و لسان و مقال، و كتب عديدة بلا صحايف و اوراق، لانها قبل وجود الانفس و الافاق، فخاطب بخطاب كن، لمن لم‌يكن، فاوجد اول ما اوجد حروفاً عقلية، و كلمات ابداعية قائمة بذواتها من غيرمادة و موضوع، هى عالم قضائه العقلى و حكمه الحتمى، ثم اخذ فى كتاب الكتب و ترقيم الكلمات العقلية على الالواح الاجرام و الابعاد، و تصوير صور البسايط و المركبات بمداد المواد، وهو عالم القدر، فخلق سبع سموات ومن الارض مثلهن[۹۲]، ذلك تقدير العزيز العليم[۹۳]، و اوحى فى كل سماء امرها[۹۴]، ولما تم له كتابة الجميع على وجه التحقيق، وحصل منها فذلك الجمع و التفريق، امرنا

۹۰ـ اى ضيق
۹۱ـ نحل ۱۰۶
۹۲ـ طلاق ۱۲
۹۳ـ يس ۳۸
۹۴ـ فصلت ۱۲

بمطالعة كتاب هذه الحكمة، و قرائة هذه الايات الكلامية و الكتابية، بقوله: فاقرؤا ما تيسر من القران[٩٥]، وبقوله: اقرأ باسم ربك الذى خلق[٩٦]، وبقوله: اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض[٩٧]، و حيث كنا فى ابتداء الامر ضعفاء الابصار، كما قال: وخلق الانسان ضعيفا[٩٨]، فما كان يصل قوة ابصارنا الى اطراف هذه الارقام، و اكناف هذه الكلمات العظام لتعاظم حروفها و كلماتها، و تباعد اطرافها و حافاتها، كما مر ذكره عن بعض المكاشفين انه قال: كل حرف من كلام الله فى اللوح اعظم من جبل قاف، و ان الملائكة لواجتمعت على الحروف الواحدان يقلوه[٩٩]، لما طاقوه، حتى يأتى اسرافيل و هو ملك اللوح ليرفعه، فنقله باذن الله و رحمته، لابقوته وطاقته، و لكن الله طوقه ذلك و استعمله به، فتضرعنا اليه تضرعاً فطرياً، قائلين بلسان حاجتنا و استعدادنا: الهنا ارحم على قصورنا، ولاتؤيسنا عن روحك، و اهدنا سبيلا الى جوارك وجنابك[١٠٠]، ومطالعة كتبك و كلماتك، فتلطف بنا بمقتضى حكمتك[١٠١] الكاملة، وقدرتك[١٠٢] البالغة، فاعطى[١٠٣] لنانسخة[١٠٤] وجيزة من اسرار كتبه و كلماته الربانية فيها آثار عنايته الربانية، ثم قال: وفى انفسكم افلاتبصرون[١٠٥]، فجعل بصر بصيرتنا حديداً بنور الهامه، و ايدنا بقوة اكرامه، و انعم علينا نعمة ظاهرة و باطنة، فبعث منا نفوساً مكرمة هى نفوس الانبياء و الاولياء عليهم السلام، كل منها كتاب مرقوم يشهده المقربون[١٠٦]، مشتمل على خلاصة ما فى الملك والملكوت، و نقاوة ما فى عالم الجبروت، و اصطفى من بين الادميين كلمة جامعة: اوتيت جوامع الكلم، و كلاماً ناطقاً فيه مجامع الحكم، و بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة، و ان

٩٥ـ مزمل ٢٠
٩٦ـ علق ١
٩٧ـ اعراف ١٨٥
٩٨ـ نساء ٢٨
٩٩ـ اى حملوه اورفعوه
١٠٠ـ جنانك ن ل
١٠١ـ حكمته ن م ل
١٠٢ـ قدرته ن م ل
١٠٣ـ فاعط: المطبوعة
١٠٤ـ مختصرة وجيزه ن م ل
١٠٥ـ ذاريات ٢١
١٠٦ـ مطففين ٢١

کانوا من قبل لفی ضلال مبین[۱۰۷]، کانت ذاته‌القران الکریم الحکیم، وهو علی صراط مستقیم، ومعه تنزیــل العزیز الرحیم[۱۰۸]، فجعل نسخة وجوده وسیلة نجاة الخلق من الجهالة و الظلمات، و القران النازل علیه برائة العبد من عذاب السیئات، والاقتداء بنورصراط الله العزیزالحمید[۱۰۹]، والاهتداء بهدیه سبیل الوصول الی جنابه المجید، فافتح بصیرتك یا انسان بنورمعرفة القران، و انظر اولیة الرحمن باخریة رسول الانس و الجان، و اعلم ان الباری وحدانی الذات فی اول الاولین، و خلیفة الله فردانی الذات فی اخرالاخرین، کما بدأکم تعودون[۱۱۰] فالله سبحانه رب الارض و السماء، و خلیفة الله مرآة تظهر فیها الاسماء، و یری بها صور جمیع الاشیاء، و ینظر بنور عینه الی نور عین المسمی، من عرف نفسه فقد عرف ربه، و النبی اولی بالمؤمنین من انفسهم[۱۱۱]، لانه‌الاصل فی‌الوجود، والمؤمنون تابعون له فی مقام المحمود، فالمؤمن من صحت له نسبة التابعیة، بمثابة مرآة وقعت فی محاذاة مرآة مقابلة للشمس، لان من‌صفی‌عن‌مرآة قلبه بمصفاة[۱۱۲] العبودیة و التوحید ریون التعلقات، و ازال عن وجه ذاته بمصقلة الطاعات نقوش الکاینات، تصیر نفسه کمرآة مجلوة یحاذی بها شطر الحق، کما ورد فی الحدیث: من رآنی فقد رأی الحق، فانعکس علیها سر الملکوت، و فاض علیها قدس اللاهوت، و مات عن غیرالله و عن نفسه وهواه، و حشر الــی مولاه، باقیا ببقائه، فانیا عن نفسه، فنفذ حکمه و استجیب دعائه، و تکرم بکرامة التکوین، کما فی قوله: لهم مایدعون[۱۱۳]، وقوله: ولکم فیها مـا تشتهی انفسکم ولکم فیها خالدون[۱۱٤].

۱۰۷ـ جمعه ۲ | ۱۰۸ـ یس ۵
۱۰۹ـ ابراهیم ۱ | ۱۱۰ـ اعراف ۲۹
۱۱۱ـ احزاب ۶ | ۱۱۲ـ ای ما یصفی به
۱۱۳ـ یس ۵۷ | ۱۱٤ـ فصلت ۳۱

الفاتحة الثامنة

فى كيفية نزول الوحى من عند الله على قلب النبى صلى الله عليه و آله ثم الى الخلق بواسطة كلام الملك

لما عرفت الفرق بين الكلام و الكتاب بوجه فاعلم: ان هذا القرآن الذي بين اظهرنا، كلام الله و كتابه جميعا، و هو بما هو كلام الله نور من انواره المعنوية، نازل من لدنه، و منزله الاول قلب من يشاء من عباده المحبوبين لقوله: ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا[١١٥]، وقوله مخاطبا لحبيبه صلى الله عليه و اله نزل على قلبك[١١٦]، وقوله: و بالحق انزلناه وبالحق نزل[١١٧]، وهوبما هو كتاب نقوش و ارقام، فيها آيات احكام، نازلة من السماء نجوما على صحايف قلوب المحبين، و الواح نفوس السالكين، وغيرهم يكتبونها فى صحايفهم و الواحهم بحيث يقرأها كل قار، و يعمل باحكامها كل عامل موفق، و بهداها يهتدون، و يتساوى فى هداها الانبياء و الامم، كما فى قوله تعالى: و انزل التورية و الانجيل من قبل هدى للناس[١١٨]، وقوله: وعندهم التورية فيها حكم الله[١١٩].

و اما القران الكريم ففيه عظايم العلوم الربوبية كان يتعلم بها نبى الله صلى الله عليه وآله، لقوله تعالى: و علمك مالم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما[١٢٠]، وفيه كرايم اخلاق الله تخلق بها خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله، لقوله: وانك لعلى خلق عظيم[١٢١]، وسئل بعض ازواج رسول الله صلى الله عليه و آله عن خلقه، فقالت: كان خلقه القران.

فاذا تقررت هذه المقدمات فنقول فى كيفية تنزيل الكلام و انزال الكتب: ان الروح الانسانى كمرآة، فاذا صقلت بصقالة العقل القدسى للعبودية التامة، و زالت عنه غشاوة الطبيعة و رين المعصية، لاح له حينئذ نور المعرفة و الايمان، و هو المسمى عند الحكماء بالعقل المستفاد، و بهذا

١١٥ـ شورى ٥٢
١١٦ـ شعراء ١٩٣
١١٧ـ اسرى ١٠٥
١١٨ـ آل‌عمران ٣
١١٩ـ مائده ٤٣
١٢٠ـ نساء ١١٣
١٢١ـ قلم ٤

النور العقلی یترآی فیه حقایق الملکوت و خبایا الجبروت، کما یترآی بالنور الحسی الاشباح المثالیة فی المرائی الصیقلیة، اذا لم یفسد صقالتها بطبع، و لم‌یتکدر صفائها برین، و لم‌یمنعها حجاب عن ذلک، ذلک لان النفوس بحسب اصل فطرتها صالحة لقبول نور الایمان و فیض الرحمن، اذا لم تطرء لها ظلمة تفسدها، او حجاب یحجبها عن ادراک الحق، کما فی قوله تعالی: وطبع علی قلوبهم فهم لایفقهون[۱۲۲]، وقوله: بل ران علی قلوبهم ما کانوا یکسبون[۱۲۳]، فاذا اعرضت نفس انسانیة[۱۲۴] عن دواعی البدن، و الاشتغال بما تحتها من الشهوة و الغضب و الحس و التخیل، و توجهت و ولت بوجهها تلقاء عالم الملکوت الاعلی، اتصلت بالسعادة القصوی، و رأی عجایب الملکوت وآیات الله الکبری، کما قال تعالی: و لقد رأی من آیات ربه‌الکبری[۱۲۵]، ثم ان هذا الروح اذا کانت قدسیة شدیدة القوی، قویة الانارة لماتحتها، لایشغلها جهة فوقها عن تحتها، فیضبط للطرفین، ویسع للجانبین، و لغایة قوتها و شدة تمکنها فی الحد المشترک بین المعقولات و المحسوسات، لایستغرقها حسها الباطن عن حسها الظاهر، و لیست کالارواح العامیة الضعیفة اذا مالت الی جانب غابت عن الاخر، و اذا رکنت الی مشعر من المشاعر ذهلت عن الاخر، فلذلک البصر منها یختل بالسمع و بالعکس، والخوف یشغلها عن الشهوة، والشهوة تصدها عن الغضب، والفکر یعطلها عن الجمیع.

واما الروح القدسیة فلاتشغلها شأن عن شأن، لاتصرفها نشأة عن نشأة، فاذا توجهت الی الافق الاعلی، و تلقت انوار المعلومات بلا تعلم بشری من الله یتعدی تأثیرها الی قواها، و یتمثل صورة ما شاهدها لروحها البشری، و منها الی ظاهر الکون، فتمثل للحواس الظاهرة، سیما السمع و البصر، لکونهما اشرف الحواس الظاهرة و الطفها، فیری شخصاً محسوساً، و یسمع کلام الله منظوماً فی غایة الجودة و الفصاحة، او صحیفة مکتوبة، فالشخص هو الملک النازل، الحامل للوحی الالهی و الکلام هو کلام‌الله،

۱۲۲ــ توبه ۸۷ ۱۲۳ــ مطففین ۱۴
۱۲۴ــ انسانی نم ۱۲۵ــ نجم ۱۸

و الكتاب كتابه، و هذا المتمثل ليس مجرد صورة خيالية لاوجود لها فى خارج الذهن، كما زعمه بعض الفلاسفة من اتباع ارسطو، معاذالله عن هذا الاعتقاد الناشى عن الجهل باحكام الانزال و التنزيل، و عدم الايمان بكيفية الرسالة و الوحى، و تحقيقه على وجهه يفتقر الى كلام طويل خارج عن طور هذه العقول النظرية.

و لمعة يسيرة اليه انه يجب ان يعلم: ان للملائكة ذوات حقيقية، ولها ذوات مضافة الى مادونها، مثل اضافة الروح الى البدن، لا لهذا البدن، بل البدن المحشور فى الاخرة، اما ذواتها الحقيقية فانها امرية قولية قضائية، فاما ذواتها الاضافية فهى خلقية كتابية قدرية، تنشأ منها الملائكة اللوحية، كاسرافيل و هو اعظمهم، و ينشأ منهم الالواح الكتابية، و انما يلاقى الصف الاول من الملائكة الروح القدسية فى اليقظة، فاذا اتصلت الروح النبوية بعالمهم، عالم الوحى الالهى، و العلم الاعلى الربانى، يسمع كلام الله و هو اعلام الحقايق بالمكالمة الحقيقية فى مقام قاب قوسين او ادنى، و هو مقام القرب و مقعد الصدق، و الوحى هيهنا هو الكلام الحقيقى الربانى كما مر، و كذلك اذا عاشر النبى صلى الله عليه و آله الملائكة، يسمع صريف اقلامهم و القاء كلامهم، و كلامهم كلام الله النازل فى محال معرفتهم و قلوبهم، لكونهم فى مقام القرب، كما حكاه النبى صلى الله عليه وآله عن نفسه ليلة المعراج، انه بلغ الى مقام كان يسمع صريف اقلام الملائكة، ثم اذا نزل الى ساحة الملكوت السماوى، و يتمثل له صورة ما شاهدها فى لوح نفسه الواقعة فى عالم الارواح القدرية، ثم يتعدى منه الاثر الى الظاهر، و حينئذ يقع للحواس الظاهرة شبه دهش و نوم، لما علمت ان الروح القدسى لضبطه الجانبين، يستعمل المشاعر الحسية، و تشيعها فى سبيل معرفة الله و طاعة الحق، فاذا خاطبه الله خطابا بلاحجاب من الخلق بواسطة الملك او بدونه، و اطلع على آيات ربه، وانطبع فى فص نفسه القدسية نقش الملكوت و صورة اللاهوت، كان ينشبح له مثال من الوحى وحامله الى الحس الباطن، فيتجذب[126] قوة الحس الظاهر الى

۱۲٦ــ فتجذب نم، فينجذب نم

فوق، و یتمثل لها صورة غیرمنفکة عن روحها الحقیقی، لا کصورة الاحلام و الخیالات، فیتمثل لهذا حقیقة الملک بصورته المحسوسة بحسب ما یحتملها، فیری ملکا علی غیرصورته التی کانت له فی عالم الامر، بل علی صورته الخلقیة القدریة، و یسمع کلامه بعدما کان و حیا، او یری لوحاً بیده مکتوبا، فیکون الموحی الیه یتصل بالملک بباطنه و روحه، و یتلقی منه المعارف الالهیة، و یشاهد آیات ربه الکبری، و یسمع کلامه الحقیقی العقلی من الملک الذی هو الروح الا عظم، ثم یتمثل له الملک بصورة محسوسة، و یسمع کلامه بصورة اصوات و حروف منظومة مسموعة، و یشاهد فعله و کتابه بصورة ارقام و نقوش مبصرة، فیکون کل من الملک و کلامه و کتابه یتأدی من باطنه الی مشاعره و قواه المدرکة، و هذه التأدیة لیست عبارة عن انتقال الملک الموحی و ما یحمله من الوحی الی الموحی الیه، بل مرجعها الی انبعاث نفس النبی صلی الله علیه و آله من نشأة الباطن الی نشأة الظاهر، بعد سفرها الاول من الشهادة الی الغیب، و لهذا یعرض للقوی الحسیة شبه الدهش، و للموحی الیه شبه الغشی، ثم یری ویسمع، و بذلک یقع الانباء، فهذا معنی تنزیل الکلام وانزال الکتب من رب العالمین.

و علم مما ذکر وجه ماقیل: ان الروح القدسیة یخاطب الملائکة فی الیقظة، و الروح النبویة یعاشرها فی النوم، و لکن یجب ان یفرق بین نوم الانبیاء و نوم غیرهم، فان نومهم عین الیقظة، کما قال علیه و اله الصلوة و السلام: تنام عینی ولاینام قلبی، وکأنک تستطیع ان تذعن و تعلم بما قرع سمعک مما ذکرنا سابقاً، ان کل ما یتلقاه ویراه، او یشاهده الروح النبویة فی عالم الغیب، لیس امراً خارجاً من جنس الکلام و المتکلم او الکتابة و الکاتب، فهذا امر مضبوط واجب الوقوع، لا انه امر اتفاقی.

الفاتحة التاسعة

فى الفرق بين كتابة المخلوق وكتابة الخالق

اعلم: ان هذا علم ذوقى شهودى لايعرفه الا صاحب بصيرة، يعلم الفرق بين وجود صورة محسوسة يكون مبدأها من خارج الحس، و بين وجود صورة محسوسة يكون مبدأها من داخل الحس، مع ان كلا منهما محسوس بهذه الحواس عند ظهور السلطان الباطن، و قوة بروزه الى الظاهر، وهذا مما تواتر نقله، و تكاثر و قوعه، و مما اتفق على روايته: ان رسول الله صلى الله عليه و آله خرج يوماً و بيده كتابان مطويان، قابض بكل يد على كتاب، فسئل اصحابه اتدرون ما هذان الكتابان؟ فاخبرهم بان فى الكتاب الذى بيده اليمنى، اسماء اهل الجنة، و اسماء ابائهم و قبائلهم و عشائرهم، من اول من خلقه الله الى يوم القيامة، و فى الكتاب الذى بيده اليسرى اسماء اهل النار، و اسماء ابائهم و قبائلهم و عشائرهم من اول يوم[١٢٧]، خلقه الله الى يوم القيامه، ولو اخذ[١٢٨] المخلوق يكتب هذه الاسماء على ماهى عليه فى هذين الكتابين، لماقام بذلك كل ورق فى العالم، فمن هيهنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوق.

اقول: و من هذا القبيل كتابة الجفر الجامعة الموجودة فى الائمة الطاهرين اهل البيت سلام الله عليهم اجمعين، ورثه خلفا عن سلف الى زمان ظهور المهدى عليه السلام و ذلك لان طولها كما روى سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه و آله، فيها كل حلال و حرام، و كل شىء يحتاج اليه الناس، حتى الارش فى الخدش.

و مما حكى ايضاً فى هذا الباب عن بعض البله من اهل الحاج، انه لقى رجلا و هو يطوف طواف الوداع، فاخذ ذلك الرجل يمازح هذا الابله، فقال له هل اخذت من الله برائتك من النار؟ فقال له الابله: لا، و هل اخذ الناس ذلك؟ قال له نعم، فبكى ذلك الابله و دخل الحجر، و تعلق باستار

١٢٧ــ من اول من خلقه الله ن م ١٢٨ــ اى شرع

الكعبة، و جعل يبكى و يطلب من الله ان يعطيه كتابة عتقه من النار، فجعل الناس و اصحابه يلومونه و يعرفونه ان فلاناً مزح معك، و هو لايصدقهم، بل بقى مستمراً على حاله، فبيناهو كذلك، اذ سقطت عليه ورقة من الجو من جهة الميزاب فيها مكتوب عتقه من النار، فسربها و اوقف الناس عليها، وكان من آية ذلك الكتاب انه يقرأ من كل ناحية على السواء لايتغير، كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها، فعلم الناس انه اية من عندالله.

و حكى الشيخ العربى فى الباب الخامس عشر و ثلثمأة، ان فى زماننا اتفق لامرأة انها رأت فى المنام كان القيامة قد قامت، و اعطاها الله ورقة شجرة فيها مكتوب: عتقها من النار، فامسكتها فى يدها، و اتفق انها استيقظت من نومها، و الورقة قد انقبضت يدها عليها، و لاتقدر على فتح يدها، وتحس بالورقة فى كفها، و اشتد قبض يدها عليها، بحيث كأنه[129]، كان تولمها، فاجتمع الناس عليها، و طمعوا ان يقدروا على فتح يدها، فما استطاع احد عليه، فسئلوا عن ذلك اهل طريقنا، فما عرف ذلك منهم احد. و اما علماء الرسوم فلاعلم لهم بذلك، و اما الاطباء فجعلوا ذلك لخلط قوى انصب الى ذلك العضو فاثر فيه ما اثر، فاشار بعض الناس الى فجأوفى بالمرأة، فسألت عن رؤياها، فاجابت، فعرفت السبب فجئت الى اذنها، فقلت لها: اذا نويت مع الله نية صادقة انك تبلعين تلك الورقة التى تحسين بها فى كفك، فان يدك تنفتح، ففعلت، فانفتحت يدها، فابتلعت، فسألونى عن علم ذلك، فقلت: ان الله غار على تلك الورقة ان يطلع عليها احد من خلقه، و انها سر خص الله به تلك المرأة، و امرتها بابتلاع تلك الورقة فبلعت، انتهى كلامه و يحوى هذا العلم على كيفية احوال الاخرة.

فان قلت: لوكان الفرق بين كتابة الخالق و كتابة المخلوق ما ذكرته انفاً لوجب ان يختص بمشاهدتها من غلب عليه سلطان الاخرة دون غيره من اهل الحجاب.

قلت: لعل ذلك كان لغيره ممن بحضوره بحسب التبعية منجهة سراية الحال منه اليهم، لاسباب خفية لانطلع على تفاصيلها، مثل توجه النفوس فى

۱۲۹ـ ذاته كانت نمـ انه كانت نمـ انه كان (فتوحات)

تلك الساعة الى الجنبة الباطنة، و ذهولهم عن الخارج، و تعطل حواسهم عن استعمالها فی هذه المحسوسات.

الفاتحة العاشرة

فی تحقیق قوله صلیالله علیه وآله: ان للقرآن ظهراً و بطناً و حدا و مطلعاً

اعلم: ان القران کالانسان منقسم الی سر و علن، و لکل منهما ظهر وبطن، و لبطنه بطن آخر الی ان یعلمه الله، ولایعلم تأویله الا الله، و قد ورد ایضاً فی الحدیث: ان للقران ظهراً و بطناً، و لبطنه بطن الی سبعة ابطن، و هو کمراتب باطن الانسان من النفس و القلب و العقل و الروح و السر و الخفی و الاخفی، اما ظاهر علنه فهو لمصحف المحسوس الممسوس و الرقم المنقوش الملموس، و اما باطن علنه فهو ما یدرکه الحس الباطن، و یستثبته القراء و الحفاظ فی خزانة مدرکاتهم کالخیال ونحوه، و الحس الباطن لایدرکه المعنی صرفاً بل خلطاً مع عوارض جسمانیة، الا انه یستثبته بعد زوال المحسوس عن حضوره، فان الوهم و الخیال کالحس الظاهر لایحضران فی الباطن المعنی الصرف المطلق کالانسانیة المطلقة بل علی نحو ماینالہ الحس من خارج، مخلوطاً بزواید و غواشی من کم وکیف و وضع و این، فاذا حاول احدهما ان یتمثل له الصورة الانسانیة المطلقة بلازیادة اخری، لمیمکنه استثبات الصورة المقیدة بالعلایق المأخوذة عن ایدیالحواس، وان فارق جوهر المحسوس بخلاف الحس، فانه لایمکنه ذلک، فهاتان المرتبتان من القران، دنیاویتان اولیتان مما یدرکه کل انسان، و اما باطنه و سره فهما مرتبتان اخرویتان لکل منهما درجات:

فالاولی منهما مایدرکه الروح الانسانیة التی یتمکن من تصور المعنی بحده و حقیقته، منفوضا عنه اللواحق الغریبة، مأخوذاً من المبادی العقلیة، من حیث تشترک فیه الکثرة، و تجتمع عنده الاعداد فی الوحدة، و یضمحل فیه التعاند و التضاد، و یتصالح علیه الاحاد، و مثل هذا الامر

لایدرکه الروح الانسانی ما لم‌یتجرد عن مقام الخلق، و لم‌ینفض عنه تراب الحواس، و لم‌یرجع الی مقام الامر، اذ لیس من شأن المحسوس من‌حیث هو محسوس ان یعقل، کما لیس من شأن العقل ان یحس بالة جسمانیة، فان المتصور فی الحس مقید مخصوص بوضع و مکان و زمان و کیف وکم، و الحقیقة العقلیة لایتقرر فی منقسم مشار الیه بالحس، بل الروح الانسانیة یتلقی المعارف بجوهر عقلی من حیز عالم الامر، لیس بمتحیز فی جسم و لامتصور داخل فی حس اووهم.

ثم لماکان الحس و ما یجری مجراه تصرفه فیما هو عالم الخلق و العقل تصرفه فیما هو من عالم الامر، فما هو فوق الخلق و الامر جمیعاً فهو محجوب عن الحس و العقل جمیعا، قال الله تعالی فی صفة القرآن: «انه لقرآن کریم فی کتاب مکنون لایمسه الا المطهرون، تنزیل من رب العالمین[۱۳۰]» فذکرله اوصافا متعددة بحسب مراتب و مقامات له، اعلاها الکرامة عند الله، و ادناها التنزیل الی العالمین، ولاشك ان کلام الله من حیث هو کلامه، قبل نزوله الی عالم الامر و هو اللوح المحفوظ، و قبل نزوله الی عالم سماء الدنیا و هو لوح المحو و الاثبات و عالم الخلق و التقدیر، له مرتبة فوق هذه المراتب، لایدرکه احد من الانبیاء الا فی مقام الوحدة، عند تجرده عن الکونین و بلوغه الی قاب قوسین او ادنی، و تجاوزه عن العالمین الخلق و الامر، کما قال افضل الانبیاء صلی‌الله علیه و آله: «لی مع‌الله وقت لایسعنی فیه ملك مقرب ولانبی مرسل» وانما یختص صاحب هذه المرتبة بتلقی القرآن بحسب هذا المقام، و الاشارة الی هذا المقام قوله تعالی: «ومایلم تأویله الاالله و الراسخون فی‌العلم[۱۳۱]» وقوله: «افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علی نور من ربه» وفی الحدیث: «ان من العلم کهیئة المکنون لایعلمه الا العلماء بالله» و اشیر الی مقام القلب و الحس الباطن بقوله: ان فی ذلك لذکری لمن کان له قلب او القی السمع

۱۳۰– واقعه ۷۷ الی ۸۰ ۱۳۱– آل عمران ۷
۱۳۲– زمر ۲۲

وهو شهيد[۱۳۳] وقوله: لوكنا نسمع او نعقل ماكنا فى اصحاب السعير[۱۳۴] وقوله: فاجره حتى يسمع كلام الله[۱۳۵] وقوله: وما منا الاله مقام معلوم[۱۳۶] اشارة الى مقامات العلماء فى درجات العلم، كما قال: نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم[۱۳۷] وقوله: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض[۱۳۸] وقوله: و الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق[۱۳۹].

و بالجملة: ان للقران درجات و منازل كما ان للانسان مراتب و مقامات، و ادنى مراتب القران كادنى مراتب الانسان، و هو ما فى الجلد و الغلاف، كما ان ادنى الدرجات للانسان هو ما فى الاهاب و البشرة، ولكل درجة منه لها حملة يحفظونه و يكتبونه، و لاتمسونه الا بعد طهارتهم عن حدثهم او حدوثهم و تقدسهم عن علايق مكانهم او امكانهم، و القشر من الانسان لاينال الا سواد القران و صورته المحسوسة، و لكن الانسان القشرى من الظاهرية لايدرك الا المعانى القشرية.

واما روح القران ولبه وسره فلايدركه الا اولوا الالباب، ولاينالوه بالعلوم المكتسبة من التعلم و التفكر، بل بالعلوم اللدنية، و نحن بصدد بيان العلوم اللدنية و اثباتها بالبرهان انشاء الله، و حقيقة الحكمة انما تنال من العلم اللدنى، و مالم يبلغ النفس هذه المرتبة لاتكون حكيماً، لان الحكمة من مواهب الله تعالى، يؤتى الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً، وما يذكر الا اولوا الالباب[۱۴۰] وهم الواصلون الى هذه المرتبة.

و اعلم: ان الوحى اذا انقطع، و باب الرسالة اذا انسد، استغنى الناس عن الرسل و اظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة و اكمال الدين، كما قال الله تعالى: اليوم اكملت لكم دينكم[۱۴۱]، و اما باب الالهام فلاينسد، ومدد

۱۳۳– ق ۳۷
۱۳۴– ملك ۱۰
۱۳۵– توبه ۶
۱۳۶– صافات ۱۶۴
۱۳۷– يوسف ۷۶
۱۳۸– بقره ۲۵۳
۱۳۹– نحل ۷۱
۱۴۰– بقره ۲۶۹
۱۴۱– مائده ۳

نور الهداية لاينقطع لاحتياج الناس لاستغراقهم فى هذه الوساوس الى التنبيه و التذكير، و الله تعالى غلق باب الوحى، و فتح باب الالهام رحمة منه على عباده.

الفاتحة الحادى‌عشر

فى ان انقطاع النبوة والرسالة عن وجه الارض باى وجه كان

اعلم: ان الوحى اذا اريد به تعليم الله عباده فهو لاينقطع ابداً، وانما انقطع الوحى الخاص بالرسول و النبى من نزول الملك على اذنه و قلبه، و لهذا قال خاتم الرسل صلى‌الله عليه و آله: فلا نبى بعدى، ثم ابقى حكم المبشرات و حكم الائمة المعصومين من الخطاء عليهم السلام، و ازال عنهم الاسم، و ابقى الحكم للمجتهدين بما ادى اليه اجتهادهم، و امرمن لاعلم‌له بالحكم الالهى ان يسئل اهل الذكر الحكيم، كما قال: فاسئلوا اهل الذكر ان‌كنتم لاتعلمون[۱۴۲] فيفتونه بعد[۱۴۳] ما ادى اجتهادهم، و ان اختلفوابعد الاتفاق فى الاصول الايمانية كما اختلفت الشرايع مع اتفاقها فيما يتعلق بذات الله و صفاته و اليوم الاخر، فالنبوة و الرسالة من حيث ماهيتهما ما انقطعت.

فللاولياء الكاملين فيها مشرب عظيم، و لاسيما و قدورد انه صلى‌الله عليه وآله قال: «من‌حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة بين‌جنبيه» وروى انه صلى الله عليه و آله قال: ان لله عباداً ليسوا بانبياء يغبطهم النبوة، وهذا الحديث مما رواه المعتبرون من المحدثين فى طريقنا و طريق غيرنا، وانه صلى الله عليه و آله قال: فى امتى محدثين مكلمين،وقد مر فى حديث جعفر الصادق عليه‌السلام ان معنى المحدث ماهو، فالنبوة للنبى صلى‌الله عليه وآله، شهادة، و للولى غيب، هذا فرقان بين النبى و الولى فى اعلام الله، و الفرق الاخر ان الولى تابع له فى جميع ما يأمره وينهاه، و الفرق الاخر تحجير اسم النبى صلى‌الله عليه و آله و الرسول عليه، فلايقال عليه

۱۴۲ــ نحل ۴۳ ۱۴۳ــ بما (فتوحات)

هذان الاسمان، انما يقال: ولی و وارث، و هما اسمان الهيان، و الله ولی الذين امنوا[۱۴۴]، والله خيرالوارثين[۱۴۵]، والولی لايأخذ النبوة الابعدان يرثها الله منه، ثم يلقيها الولی ليكون ذلك اعلی و اتم فی حقه، و بعض الانبياء[۱۴۶]، اخذوها وراثة عن‌النبی بوجهين كاهل بيته من الائمة الطاهرين عليه و عليهم السلام، ثم علماء الرسوم كانوا يأخذونها خلفاً عن سلف الی يوم‌القيامة، فيبعدالسند[۱۴۷]، واماالاولياء فيأخذونهاعن‌الله، من كونه ورثها وجادبها[۱۴۸]، فهم اتباع الرسل بمثل هذا السند العالی المحفوظ، الـذی لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، تنزيل من حكيم حميد[۱۴۹]، هذا خلاصة ما افاده بعض العرفاء قدس سرهم[۱۵۰]، فاحتفظ به، فانه مـن لباب المعرفة، صدر عن معدن المكاشفة المعنوية، قال ابويزيد: اخذتم علمكـم ميتاً عن ميت، و اخذنا علمنا عن الحی الذی لايموت.

قال سبحانه لنبيه فی هذا المقام، لما ذكر الانبياء فی سورة الانعام: اولئك الذين هدی الله فبهديهم اقتده[۱۵۱]، وكانوا قد ماتوا و ورثهم‌الله و هو خير الوارثين، ثم جاد علی النبی بذلك الهدی الذی هديهم بـه، فهكذا بعينه علوم الاولياء التی اخذوها عن باطن النبی صلی الله عليه و آله، ابقاء من الله لها فی صدورهم، ثم الملائكة ايضاً رسل الله الی‌عباده، ولم‌ينقطع رسالتهم، و هم الملائكة المبلغون من الله دون غيرهم، و كل روح لايعطی رسالة فهو روح، و لايقال له ملك، لانه مشتق من الالوكة و هی‌الرسالة، ومن علمه الله بنطق[۱۵۲] الحيوانات وتسبيح النبات و الجماد، و علم صلوة كل واحد من الموجودات و تسبيحهم، يعلم ان النبوة سارية فی كل موجود، لكنه لايطلق اسم النبی و الرسول الا علی الرسول و ضرب من الملائكة، و الدليل علی ان هذه النبوة سارية فی الحيوان قوله تعالی. و اوحی ربك الی النحل ان اتخذی من الجبال بيوتا[۱۵۳] الاية.

۱۴۴ـ بقره ۲۵۷
۱۴۵ـ انبيا ۸۹
۱۴۶ـ الاولياء (فتوحات)
۱۴۷ـ النسب (فتوحات)
۱۴۸ـ بهاعلی هؤلاء (فتوحات)
۱۴۹ـ فصلت ۴۲
۱۵۰ـ وهوشيخ‌الاكبرمحی‌الدين‌الاعرابی
۱۵۱ـ انعام ۹۰
۱۵۲ـ منطق (فتوحات)
۱۵۳ـ نحل ۶۸

قال فى الفتوحات المكية: اعلم ان النبوة البشرية على قسمين: قسم من الله تعالى الى عبده من غير روح ملكى بين الله و بين عبده، بل اخبارات الهية يجدها فى نفسه من الغيب، او فى تجليات لايتعلق بذلك الاخبار حكم تحليل ولاتحريم، بل تعريف[١٥٤] الهى، ومزيد علم باحوال المبدأ و المعاد، او تعريف بصدق حكم مشروع ثابت من عند الله فى هذه الشريعة الالهية لنبينا صلى الله عليه وآله او تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته عند علماء الرسوم، فيطلع صاحب هذا المقام على صحة ماصح من ذلك، و فساد ما فسد مع وجود النقل، و كذا يطلع على صحة ما فسد عند ارباب النقل،و فساد ماصح عندهم بالطرق الظنية الاجتهادية، او الاخبار بنتايج الاعمال و اسباب السعادات و اسباب الشقاوات، و اثر حكم التكاليف فىالظاهر والباطن، ومعرفةالحد فى ذلك المطلع، كل ذلك بتنبيه[١٥٥] من الله و شاهد عدل الهى من نفسه، غير انه لاسبيل له ان يكون على شرع يخصه يخالف شرع نبيه، ولابد له فى طريقه مشاهدة قدم رسوله امامه.

و القسم الثانى من النبوة، هم الذين يكونون مثل التلامذة بين يدى الملك، ينزل عليهم الروح الامين بشريعة من الله فى حق نفوسهم يتعبدون[١٥٦] بها، فيحل لهم ما شاء الله و يحرم عليهم، ولايلزمهم اتباع الرسل، و هذا كله كان قبل مبعث محمد صلى الله عليه و آله، فاما اليوم فما بقى لهذا المقام اثر فى الاحكام، الا ما ذكرناه من حكم المجتهدين بتقرير الشرع لذلك فى حقهم، فيحلون ما اداهم الدليل الى تحليله، و ان حرمه المجتهد الاخر، و لكن لايكون بوحى الهى و لابكشف، و الذى لصاحب الكشف من هذه الامة تصحيح الشرع المحمدى صلى الله عليه و آله ما له حكم الاجتهاد، فلايحصل لصاحب هذا المقام اجر المجتهدين، ولامرتبة الحكم، فان الحكم بما هو الامر عليه فى الشرع المنزل يمنعهم من ذلك،ولو ثبت عندالمجتهد ما ثبت عند صاحب هذا المقام[١٥٧] بطل اجتهاده وحرم عليه ذلك الحكم البتة.

١٥٤ـ تعريفات (فتوحات)

١٥٥ـ تنبيه ن م بينة (فتوحات)

١٥٦ـ يتعبدهم بها (فتوحات)

١٥٧ـ المقام من الكشف (فتوحات)

الفاتحة الثانی‌عشر

فی کشف فضیحة الجاحدین لعلوم اهل‌الله المنکرین لما وراء ما فهموه او تلقفوه من شیوخهم و آبائهم لاعن بصیرة

قال الجنید: لایبلغ احد درج الحقیقة حتی یشهد الف صدیق بانه زندیق، و ذلک لانهم یعلمون من الله ما لایعلمه غیره، و روی کمیل بن‌زیاد عن امیرالمؤمنین علیه السلام فی حدیث طویل انه قال حین ضرب بیده الی صدره: ان هیهنا لعلوم جمة، لو وجدت لها حملة، و الی هذا العلم اشار علی ابن الحسین علیهما السلام بما اشتهرت نسبته الیه انه قال:

یا رب جوهر علم لو ابوح بـه   لقیل لی انت ممن یعبد الوثنـا
ولاستحل رجال مسلمـون دمی   یرون اقبـح ما یأتونـه حسنـا

و عن ابن‌عباس انه عبر عن اختصاص الراسخین فی العلم بعلـوم لایحتملها افهام الخلق، حیث قرء قوله: خلق سبع سموات و من الارض مثلهن یتنزل الامر بینهن لتعلموا ان‌الله علی کل‌شیء قدیر[۱۵۸] فقال لوذکرت ما اعرفه من معنی هذه الایة لرجمتمونی، وفی لفظ آخر لقلتم انه[۱۵۹] کافر و قال صاحب الفتوحات المکیة بعد ما نقل هذه‌الاخبار: بالله یااخی انصفنی فیما اقول لک، لاشك انك قدا جتمعت[۱۶۰] معی علی‌انه کلما صح عن رسول الله صلی الله علیه و آله من الاخبار فی کل ماوصف به ربه تعالی من الفرح و الضحك و التعجب[۱۶۱] والغضب و التردد و الکراهة و المحبة و الشوق، ان ذلک و امثاله الواردة یجب الایمان و التصدیق به، فلو ان هبت نفحات من هذه الحضرة الالهیة کشفا و تجلیا و تعریفاً الهیاً علی قلوب الاولیاء[۱۶۲]، بحیث ان یعلموا باعلام‌الله وشاهدوا باشهاده شیئاً من‌هذه الامور المعبر عنها بهذه الالفاظ علی لسان الرسول صلی الله علیه و آله، وقدوقع

۱۵۸ـ طلاق ۱۲
۱۵۹ـ انی (فتوحات)
۱۶۰ـ اجمعت (فتوحات)
۱۶۱ـ والتعجب والتبشبش (فتوحات)
۱۶۲ـ الاولیاء لعلمو (فتوحات)

الايمان منى ومنك بهذا كله اذا[۱۶۳] اتي بمثله هذا الولى فى حق الله تعالى الست تزندقة؟ كما قال الجنيد: الست تقول: ان هذا مشبه و هذا عابدوثن؟ حيث وصف الحق بما وصف به المخلوق، ما فعلت عبدة الأصنام اكثر من هذا، كما قال على بن الحسين عليهما السلام: الست كنت تقتله او تفتى بقتله، كما قال ابن عباس فبأى شىء آمنت و سلمت لماسمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله فى[۱۶۴] حق الله من الاموراالتى تحيله[۱۶۵] الادلة العقلية ومنعت[۱۶۶] من تأويلها، والاشعرى يأولها على وجوه من التنزيه فى زعمه، فاين الانصاف؟، فهلاقلت: القدرة واسعة ان يعطى لهذا العبد[۱۶۷] شيئامما يعطى النبى صلى الله عليه وآله من علوم الاسرار؟ فان ذلك ليس من خصايص النبوة، ولاحجر الشارع على امته هذا الباب، ولاتكلم فى ذلك بشىء، بل قال: ان فى امتى محدثين، و ليس الاطلاع على غوامض العلوم الالهية من خصايص نبوة التشريع، بل هى سارية فى عباد الله من رسول الله صلى الله عليه وآله، و ولى وتابع و متبوع، يا وليى فاين الانصاف؟، ليس[۱۶۸] هذا موجوداً فى الفقهاء و اصحاب الافكار، الذين هم فراعنة الاولياء و دجاجلة عباد الله الصالحين، انتهى.

و اعلم ان النفس مالم تكن صافية عن غشاوة العلوم التقليدية المكتسبة من الاقوال و عن الافكار النظرية الحاصلة باستعمال المنطق، بآلتى الوهم و الخيال للعقل الفكرى، لم يكن صاحب بصيرة فى الالهيات، بل فى جميع العلوم، ولم يكن قابلا للفتح الالهى، و بعيد من ان يحصل له شىء من العلم اللدنى الحاصل لنفوس الاميين، و هم الذين كتب نفوسهم و الواح قلوبهم خالية عن نقوش هذه الاقاويل المتعارفة بين اهل الكتاب، اولئك الذين هديهم الله، و كتب فى قلوبهم الايمان، لصفاء قلوبهم عن غيرالله، و سلامة صدورهم عن هذه الوساوس، و هذه الامية لاينافى حفظ الاقوال و رواية الاحاديث، و لكن من سلم بـاطنه عن العلـوم النفسانية

۱۶۳ــ كله فاذا (فتوحات)
۱۶۴ــ مافى (فتوحات)
۱۶۵ــ تحيلها (فتوحات)
۱۶۶ــ وتمنع (فتوحات)
۱۶۷ــ الولى (فتوحات)
۱۶۸ــ فاين الانصاف منك، اليس (فتوحات)

الحاصلة بالفكر و الدراية او التقليد و الرواية من غير بصيرة، فبهذا يزيد العالم الامى على غيره، و هذا هو البصيرة التى اختص بها النبى الامى و الاميون الذين يتبعونه، المشار اليها بقوله: ادعو الى الله على بصيرة انـا ومن اتبعنى[169] تتميماً لقوله: بعث فى‌الاميين رسولا منهم يتلـوا عليهم اياته[170] و المقلد وصاحب الادلة الفكرية لايكونان على بصيرة ابداً.

حكى ابوحامد الغزالى عن نفسه فى كتاب المنقذ من الضلال، انه لما اردت ان انخرط فى سلكهم و آخذ مأخذهم و اغترف من البحر الذى اغترفوا منه، خلوت بنفسى و اعتزلت عن نظرى و فكرى، و شغلت نفسى بالذكر فانقدح لى من العلم مالم‌يكن عندى، ففرحت به و قلت: انه قد حصل لـى ما حصل للقوم، فتأملت فاذن فيه قوة فقهية مما كنت عليه قبل ذلك، فعلمت انه ماحصل[171] لى، فعدت ثانيا الى خلوتى و استعملت مـا استعمله القوم، فوجدت مثل الذى وجدت اولا و اوضح و اسنى، فسررت فتأملت فاذن فيه قوة فقهية مما كنت عليه و ماخلص لـى، عاودت ذلـك مراراً و الحال الحال، فتميزت عن ساير النظار اصحاب الافكار بهـذا القدر، و لم الحق بدرجة القوم فى ذلك، و علمت ان الكتابة على المحو ليست كالكتابة على غير المحو، انتهى كلامه.

و اعلم: ان الله خلق لكل طائفة من اهل الصنايع و العلوم ميزاناً اى ضابطة ترجعون اليها فى وقايعهم، و ذلك الميزان بالحقيقة صورة كماله و مبدأ انظاره مركز فرجاره، و ميزان كل طائفة لايمكن ان يستعمل فى غير صنعته، ولايوزن بها صنعة غيره، الا ان اهل الله لما لم‌يعتمدوا علـى ميزان من هذه الموازين، افادالله لهم ميزاناً قسطاً يوزن به سايرالموازين‌و الموزونات بها، و لهذا لم‌ينكروا على ميزان احد و صراطه، و ماسواهم قاطبة ينكرون صراطهم المستقيم و ميزانهم الحق.

قال الشيخ العربى فى الفتوحات فى الباب التاسع و ثمانون ومأتان: و جاء هذا الفقيه و المتكلم الى الحضرة الالهية بميزانهما ليزنا على الله،

١٦٩ـ يوسف ١٠٨ ١٧٠ـ جمعه ٢

١٧١ـ بعد ماخلص لى (المنقذ)

وما عرفا ان الله تعالى ما اعطاهم[۱۲۷] تلك الموازين الاليزنا بهالله، لاعلى الله، فحرما الادب، ومن حرم الادب عوقب بالجهل بالعلم اللدنى الفتحى، فلم‌يكن‌على‌بصيرة من‌امره، ثم‌قال: ولما وزن متكلم[۱۷۳] بميزان عقله ماهو خارج عن العقل، لكونه وراء طوره، و هو العلوم الالهية سيما مايتعلق بالنسب الالهية، لم‌يقبلها ميزانه، و رمى به و كفر به، و تخيل انه ماثم‌حق الا ما دخل فى ميزانه، و المجتهد الفقيه وزن حكم الشرع بميزان نظره، فاذا اراد ان يزن بميزانه ما حكم به المجتهد الاخر الذى خالفه كالشافعى المذهب اذا اراد ان يزن بميزانه تحليل‌الذى قبله ميزان الحنفى‌لم يمكنه، فحرمه عين ما احل غيره، فرمى به ميزان الاخر، ولم‌يكن ينبغى لاحدهم مثل ذلك الا بالتقليد[۱۷۴] و الشرع قد اوجب على كل مجتهد ما اداه اليه اجتهاده، و حرم عليه العدول عن دليله فما و فى الصنعة حقها، و اخطأ الميزان العام الذى يشمل حكم‌الشريعة[۱۷۵]، وهو الذى استند اليه علماء هذه الطريقة[۱۷۶] بلاخلاف فى اصول الادلة وفى فروع الاحكام، فالميزان العام يمضى حكم‌كل واحد[۱۷۷]، ولكن العامل بالميزان العام قليل لعدم الانصاف، ولاجل‌ذلك‌كان حرمان الفقهاء والعلماء النظارعن ان يلجوا باب هذا العلم الشريف الاحاطى الذى يسلم كل طائفة ماهى عليه، سواء قادهم ذلك الى السعادة او الشقاوة، ولايسلم احد طريقهم[۱۷۸] سوى من ذاق ماذاقوه او آمن به، كما قال ابويزيد: اذا رأيتم احداً ممن[۱۷۹] يؤمن بكلام اهل هذه الطريقة و يسلم لهم ما يتحققون به، فقولوا له يدع لكم، فانه‌مجاب الدعوة، فالله يجعلنا ممن جعل له نوراً من النور الذى يهدى به من يشآء من عباده[۱۸۰] الى صراط مستقيم.

۱۷۲ـ اعطاهما (فتوحات)
۱۷۳ـ المتكلم (فتوحات)
۱۷۴ـ بالتقييد (فتوحات)
۱۷۵ـ الشريعة على الاطلاق (فتوحات)
۱۷۶ـ علماء الشريعة (فتوحات)
۱۷۷ـ واحد منهما (فتوحات)
۱۷۸ـ ولايسلم له احد طريقة (فتوحات)
۱۷۹ـ من (فتوحات)
۱۸۰ـ عباده حتي يهدى به‌الى (فتوحات)

المفتاح الثانى

فى‌الاشارة الى الاغراض الرحمانية والمقاصد
الالهية المذكورة فى هذا الكتاب المبين،
وما يلتحق بذلك و ينوط به، و فيه فواتح:

الفاتحة الاولى

فى ذكراقسام القران بحسب غاية الانزال والتنزيل، و هى تكميل ذات الانسان و دعوته الى‌العزيز الرحمن على سبيل الاجمال

اعلم: ان سر القران و مقصوده الاقصى و لبابه الاصفى دعوة العباد الى الملك الاعلى، رب الاخرة و الاولى، وخالق السموات العلى والارضين السفلى و مابينهما الى تحت الثرى، والغاية المطلوبة فيه تعريف كيفية ارتقاء العبد من حضيض النقصان و الخسران الى اوج الكمال و العرفان، و بيان السفر اليه طلباً للقائه و مجاورة مقربيه، و تنعماً بما فى حضرة ملكوته و طبقات جنانه، و نجاة عن دركات الجحيم و مجاورة موذياته، و التعذيب بنيرانه و عقاربه و حياته، و لاجل ذلك انحصرت فصوله و ابوابه و سوره و اياته فى ستة مقاصد، ثلاثة منها هى كالدعايم و الاصول المهمة، و ثلاثة اخرى هى كالروادف المتممة.

اما الثلاثة المهمة فهى تعريف الحق المدعو اليه، و تعريف الصراط المستقيم، الذى يجب ملازمته فى السلوك اليه، و تعريف الحال عندالوصول،

فالاول معرفة المبدأ، و الاخر معرفة المعاد، و الاوسط معرفة الطريق، والى هذه الثلاثة اشار اميرالمؤمنين عليه السلام : رحم‌الله امرأ اعد لنفسه، و استعد لرمسه، و علم من اين و فى اين والى اين، و اشرف هذه العلوم السوابق والاصول، هو العلم بالله و اليوم الاخر، و دونه العلم بالصراط المستقيم، وهو معرفة كيفية تزكية النفس وتنويرها و تخليصها عن شوائب الطبيعة، و العلم الاعلى هو اشرف العلوم، لان ساير العلوم يراد لاجله، وهو لايراد الا لنفسه، فيكون غاية الغايات و نهاية الحركات، و طريق التدرج فى تحصيله هو الترقى من الافعال الى الصفات، و منها الى الذات، و اعلاها علوم الذات، ولايحتملها اكثر الافهام، ولهذا قيل لهم: تفكروا فى خلق الله و لاتتفكروا فى ذات الله و الى هذا التدريج يشير قوله صلى الله عليه و آله: اعوذ بعفوك من عقابك، و اعوذ برضاك من‌سخطك و اعوذ بك منك، الاول ملاحظة الافعال، و الثانى ملاحظة الصفات، و الثالث ملاحظة الذات، و لهذا اعترف بالعجز فى النهاية فقال: لااحصى ثناء عليك، انت كما اثنيت على نفسك، وهو اشارة الى الفناء فى‌التوحيد.

و فى كتاب الكافى عن ابى‌عبدالله جعفر الصادق عليه السلام انه قال: من زعم انه يعرف الله بحجاب او بصورة او بمثال فهو مشرك، لان حجابه و مثاله و صورته غيره، و انما هو واحد موحد، فكيف يوحده من زعم انه عرفه بغيره، و انما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، و انما يعرف غيره،... الحديث، فهذا اشرف العلوم، و يتلوه فى الشرف علم الاخرة و علم المعاد، بل هو متصل بعلم المعرفة، فهذا العلوم الاربعة علم الذات وعلم الصفات وعلم الافعال وعلم المعاد مما يكل عنه اكثر الافهام، و يستضر به الضعفاء الانوار[1] العقلية، وهم اكثر المترسمين بالعلم، و اما الثلاثة الرادفة المتممة:

فاحدها تعريف الاحوال المحبين المبعوثين للدعوة، و لطائف صنع الله فيهم، و دقايق تأديبه و تربيته لهم، لصفاء جواهرهم و طهارة اعيانهم عن الخبث و الشين، و نقاوة وجه مرآتهم عن الطبع و الرين، و تهيؤهم

١ـ للانوار ن ل

لقبول تجلى صورة الحق، و الغرض فيه التشويق و الترغيب الى منازلهم و مقاماتهم، و تعريف احوال الناكبين و الناكلين عن الاجابة، الضالين عن الطريق، و الجاحدين لهذه الدعوة، و كيفية حلول غضب الله فيهم و قمعه لهم، وطرده اياهم، وتنكيله بهم، لسوء استعدادهم، و خبث جواهرهم، و رجس ذواتهم، و تراكم الطبع و الرين على مرآتهم، و الغرض فيه الاعتبار و الترهيب.

و ثانيها حكاية اقوال الجاحدين و كشف فضائحهم و تجهيلهم و تسفيه عقولهم فى تحريبهم طريق الهلاك بالمجادلة و المحاجة على الحق، و المقصود منه اما فى جنبة الباطل، فالافصاح[۲] و التحذير و التنفير، و اما فى جنبةالحق، فالايضاح والتثبيت والتقرير.

و ثالثها تعريف عمارة المراحل الى الله، و كيفية اخذ الزاد و الاستعداد للمعاد، و المقصود منه معرفة كيفية معاملة الانسان مع اعيان هذه الدنيا، و انها يجب ان يكون مثل معاملة المسافر مع اعيان مراحل سفره البعيدة، التى يطلب فيه تجارة عظيمة، و يخطر فيه مخاطرة شديدة، بل اى نسبة لسفر الاخرة الى ساير الاسفار ربحاً و خسراناً، و فى ربحه سعادة الابد، وفى خسرانه هلاك السرمد، فهذه ستة اقسام:

القسم الاول

وهوالمعروف بعلم الربوبية، مشتمل كما مر على ثلاث مراتب: معرفة الذات و معرفة الصفات و معرفة الافعال.

اما معرفة الذات فهى اضيقها مجالا و اعسرها مسلكاً ومقالا، واشدها على الفكر منالا، و ابعدها عن قبول الذكر، لايظفر منها ملوك الاخرة الا باليسير كالكبريت الاحمر، و لذلك لايشتمل القرآن منها الا على تلويحات و رموز و اشارات، و يرجع اكثرها لاهل الفكر و العقل الى التقديس المحض و التنزيه المطلق و سلب النقايص مطلقا، كقوله: ليس كمثله شىء[۳]، وكسورة الاخلاص، او الى التعظيم المطلق، كقوله: سبحان ربك رب العزة

۲ــ فالافضاح ن ل ۳ــ شورى ۱۱

عما یصفون[٤]، و کقوله: بدیع السموات و الارض[٥].

و اما الصفات فالمجال فیها افسح، و نطاق النطق فیها اوسع، ولذلك اکثر ایات القران مشتمل علی ذکر تفاصیلها، کالعلم و القدرة و الحیوة و السمع و البصر و الکلام والحکمة وغیرها، و فی هذا القسم ایضاً غموض شدید علی العقول الضعیفة، و تعسر تام علی الافهام القاصرة، من جهة ادراك الصفات التشبیهیة کالسمع والبصر والمحبة و الابتلاء و المما کرة، و هذا مما لایعرفه الا الراسخون فی العلم.

و اما الافعال فبحر متسع اکنافه، ولاینال بالاستقصاء اطرافه، بل لیس فی الوجود الا الله و صفاته و افعاله، فکل ماسواه فعله و جوده، لکن ظاهر القران مشتمل علی الجلی منها الواقع فی عالم الشهادة، کذکر السموات و الکواکب والجبال والبحار و السحب و الامطار و سایر اسباب الحیوان و النبات، و هی التی ظهرت للحس، و اشرف صنایع الله و اعجبها و ادلها علی جلاله و عظمته مالایظهر للحس، بل هی من عالم الملکوت، وهی الملائکة و الروحانیات و الروح و القلب و النفس، فانها جمیعاً خارج عن عالم الملك و الشهادة، و من ادانی عالم الملکوت الملائکة الموکلة بعالم الارضین، و منها الجن و الشیاطین، المسلطة علی جنس الانس، و هی التی امتنعت عن السجود لادم، و من اعالیهم الملائکة السماویة، و اعلی منهم الکروبیون، و هم العاکفون فی حظیرة القدس، لا التفات لهم الی هذا العالم، بل لا التفات لهم الی غیرالله، لاستغراقهم بجلال الحضرة الربوبیة و جمالها، و هم من اهل الفناء فی التوحید، ویقال لهم الملائکة ا لمهیمة، ولایستبعدان یکون فی عباد الله من یشغله مطالعة جلال الله عن الالتفات الی نفسه، فضلا عن غیره.

فقد روی عن رسول الله صلی الله علیه و آله: ان لله ارضا بیضاء مسیرة الشمس فیها ثلاثون یوماً، هی مثل ایام الدنیا ثلاثین مرة، مشحونة خلقاً لایعلمون ان الله یعصی فی الارض، ولایعلمون ان الله خلق آدم و ابلیس، و اکثر الخلق ادراکهم مقصور علی عالم الحس و التخیل، و انهما

٤ـ صافات ۱۸۰ ٥ـ بقره ۱۱۷

النتیجة الاخیرة من نتایج عالم الملکوت، و هو القشر الاقصی من اللب الاصفی، و من لمیجاوز هذه الدرجة، لایعرف من القران الاماله الیه نسبة القشر الاخیر من الجوز و البشرة، بل الثوب من الانسان، فهذه مجامع القسم الاول من الاقسام الثلاثة المهمة، الفریضة علی کل مسلم تحصیل العلم بها.

و اما القسم الثانی منها:

فهو تعریف السفرللانسان الی الله، و السلوک له نحو الدار الاخرة

و بیان ذلک : ان الانسان یختص من بین الموجودات کلها بخاصیة، هی امکان تقلبه فی الاحوال، و تطوره فی جمیع الاطوار، و تصوره بکل صورة و نعت بخلاف غیره، فان کلا منها له حد معین و مقام معلوم، و من نظر الی حاله علم انه من لدن اول کونه الی هذا الحد الذی یقف عنده اکثر الناس، کان له انتقالات و انقلابات، اذ کان اولا مما اتی علیه حین من الدهر لمیکن شیئا مذکوراً[٦]،وهو اخس الاحوال و ادنی المراتب، اذ لااخس من اللاشیء شیء، و هذه مرتبة هیولاه التی هی قوة صرفة و ابهام محض، ثم تجاوز قلیلا من هذا المقام، و اول صورة لبسها و زال بها عریها، صورة مقداریة، ثم صورة عنصریة، ثم صورة جمادیـــة، هی صورةالمنی، هی انزل خلق الله وهناً و ضعفاً، ثم تدرج الی النباتیة ثم الی الحیوانیة، و الیها اشیر بقوله تعالی: فجعلناه سمیعاً بصیراً[٧] و هو اول مایلد بالولادة الجسمانیة یکون فی اول مقام من مقامات النفس بمنزلة الهیولی، التی هی اول مقامات الجسم، فهو کباقی الحیوانات لایعرف شیئا، ولایهتدی الی شیء الا الاکل و الشرب و النوم، ثم یتدرج و یظهر له باقی صفات النفس شیئاً فشیئا، کالشهوة و الغضب و الحرص و الحسد و البخل و الکبر و المکر و الحیلة و الظلم وغیرها من الصفات التی هی من نتایج الاحتجاب و البعد من الحضرة الالهیة، فهو فی هذا المقام حیوان منتصب القامة، یصدر منه الافاعیل المختلفة بحسب الدواعی المختلفة و الارادات المتفننة و الافکار

٦ــ الدهر ١ ٧ــ الدهر ٢

المتشعبة، فهو منغمر فى بحر الظلمات، اسير فى ايدى الهوى و الشهوات، فتارة تجذبه الشهوة، و تارة يستعمله الغضب، و تارة يستعبده الهوى، و تارة يستهويه الشيطان، لكونه نائماً عن عالم الوحدة فى مراقد الجهالات، ثم ان ادركته لمعة من انوار الرحمة تيقظ من رقدة الجهالة، و تنبه من نوم الطبيعة، و تفطن بان ماوراء هذه المحسوسات عالم آخر، و فوق هذه اللذات الحيوانية لذات اخر، فحينئذ يتوب عن اشتغاله بالمزخرفات، وينيب الى الله من هذه المنهيات االتى زجرها الشارع، فيشرع فى التدبر فى ايات الله و استماع مواعظه، و التأمل فى احاديث نبيه، و العمل بمقتضى شريعته، فيشرع فى ترك الفضول الدنيا و ية من الجاه و المال و غيرهما، طلباً للكمالات الاخروية، و يعزم عزماً تاماً ان ادركته العناية الالهية الى التبتل اليه و السلوك نحوه من موطن نفسه و مقام هواه، فيظهر له لوامع الملكوت، و ينفتح له باب الغيب، و يلوح له لوايح عالم القدس مرة بعد اخرى، فيشاهد اموراً غيبية فى صورة مثالية، فاذا ذاق منها شيئاً، يرغب فى الخلوة و العزلة و ذكر الله على الدوام، و يفرغ القلب عن المشاغل الحسية، و يتوجه باطنه الى الله بالكلية، فيفيض عليه العلوم اللدنية و الاسرار الالهية، و يظهر له انواراً معنوية حقيقية تارة، و يختفى عنه اخرى، حتى يتمكن و يخلص من التلوين، وينزل عليه السكينة الروحية، فيدخل فى عوالم الجبروت، و يشاهد العقول المفارقة، و يتحقق بانوارهم ويتنور باسرارهم، فيظهر له سلطان الاحدية و سواطع العظمة و الكبرياء، فيجعله هباء منثوراً، و يندك جبال انيته، فيخر له خروراً، و هو مقام الجمع و التوحيد، و فى هذا المقام يستهلك فى نظره الاغيار، و يسمع نداء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار[8].

وقد ظهر مما ذكرنا، ان جميع افراد الناس مما يوجد فيهم الحركة المعنوية نحو الاخرة، الا انهم يتفاوتون فى كيفية هذه الحركة، ويتفاوتون فى درجات القرب و البعد من الله، فبعضهم ممن يسعى نوره الى الله، كقوله تعالى: يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم[9]، و منهم من تجذبه

۸ـ غافر ۱۶ ۹ـ تحريم ۸

العنایة الاحدیة بخطاب ارجعی، کما قال تعالی: یا ایتها النفس المطمئنة ارجعی الی ربك راضیة مرضیة[۱۰]، فیجیب دعوة الله موتاً اختیاریـاً، و منهم من یساق الی الموت جبراً و قهراً بواسطة سدنـة الجسم و ملائکـة هذا العالم، و الیه الاشارة بقوله: ولو تری اذ الظالمون فی غمرات الموت و الملائکة باسطوا ایدیهم اخرجوا انفسکم الیوم تجزون عذاب الهون[۱۱] و اما عند المصیر الیه فبعضهم فرحون بلقاء الله، و بعضهم نواکس الرؤس عن اعلی علیین الی اسفل سافلین، و لذلك قال: ولو تری اذ المجرمون ناکسوا رؤسهم عند ربهم[۱۲]، فظهر انهم و ان کانوا عند ربهم، الا انهم منکوسون منحوسون، قد انقلبت وجوههم الی اقفیتهم، نعوذبالله من الضلال و الهبوط فی مهاوی الجهال.

القسم الثالث

تعریف الحال عند میعاد الوصال، و القران یشتمل علی الروح و اللذة و النعیم، الذی یلقاه الواصلون المطیعون، و العبارة الجامعة لانواع روحها و ریحانها و نعیمها و سرورها الجنة، و اعلاها لذة النظر الی وجه الله، و کذا یشتمل علی ذکر الخزی و العذاب و البعد، الـذی یلقـاه المحجوبون باهمال السلوك طوعا و رغبة، و العبارة الجامعة لاصناف آلامها الجحیم، و اشدها الماً الم الحجاب و الابعاد، فلذلك قدمه تعالی فی قوله: کلا انهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون، ثم انهم لصالوا الجحیم[۱۳]، و یشتمل القران ایضاً علی ذکر مقامات الفریقین و حالاتهما، و عنها یعبر بالحشر و النشر و الحساب و المیزان و الکتاب و الصراط و الموقف و السور و الحوض و الکثیب الابیض، ولها ظواهر یجری مجری الغذاء لعموم الخلق، ولها اسرار غامضة لایطلع علیها الا اهل الله خاصة، و الفلاسفة و ارباب العقول النظریة لمعزولون عـن ادراك امور الاخرة، و لیس للظاهرین من علماء الاسلام و اهل الاجتهاد الا مجرد التصدیق مجملا، و الاذعان بکل

۱۰ـ فجر ۲۷ و ۲۸
۱۱ـ انعام ۹۴
۱۲ـ سجدة ۱۲
۱۳ـ مطففین ۱۵

ماورد به الشرع و اخبر به الشارع فی هذا الباب، ولیس ایمانهم باحوال الاخرة الا ایماناً بالغیب، کایمان الاکمه بوجود الالوان، وکایمان العنین بلذة المجامعة، و لعل ثلث آیات القران و سوره یرجع الی تفاصیل ذلك، ولسنا نجمعها هاهنا، لکونها اکثر من ان تحصی و تلتقط، ولکن للفکر فیها مجال رحب.

القسم الرابع

احوال السالکین لسبیل الله، الواصلین الیه، و هی قصص الانبیاء و احوال الضالین الناکبین عن الطریق، و هی قصص الجاحدین، وحکایات الکفار و المشرکین، و فایدة هذا القسم الترغیب و الترهیب و الاعتبار و الاستبصار، و یشتمل ایضاً علی اسرار و رموز و اشارات محوجة الی الفکر الطویل، وفیه مجال واسع لاهل التأویل، و الایات الواردة فیها کثیرة لایحتاج الی جمعها و طلبها.

القسم الخامس

محاجة الکفار و ایضاح مخازیهم و کشف اباطیلهم و مخاییلهم بالبرهان الواضح و الحجة القاطعة، و الغرض فیها اظهار الحق و ازهاق الباطل، وقطع اعذار الجحدة والمکذبین، وازاحة علل المضلین والمنافقین.

القسم السادس

تعریف عمارة المنازل للطریق، وکیفیة التأهب للزاد، و الاستعداد للمرجع و المعاد، و اعداد القوة و السلاح، الذی یدفع به سراق المنازل و قطاع الطریق، و بیانه: ان الدنیا کما مر منزل من منازل السایرین الی الله، و البدن مرکب، و من ذهل عن تدبیر المنزل و المرکب لم یتم سفره، ولایتم ذلك الا بالغذاء لهذا المرکب، کعلف الدابة لینحفظ شخصه، و بالنکاح لیبقی نوعه، و هو ایضاً موقوف علی الغذاء، لان بقاء النوع بعد بقاء الشخص، و بقاؤه موقوف علی الغذاء، و الموقوف علی الموقوف علی

الشیء، موقوف علی ذلك الشیء، فالجمیع موقوف علی الغذاء، و للغذاء اسباب لایحصل الا بالتمدن و الاجتماع، و لهذا قیل: ان الانسان مدنی بالطبع، فاختلفت اعداد، و افترقت احزاب، و انعقدت ضیاع و بلاد، ثم لوترك الامرفیه من غیر تعریف قانون مضبوط مرجوع الیه فی‌الاختصاصات لتهارشوا[١٤] و تغالبوا فتقاتلوا، و فسد الجمیع و انقطع النسل، و اختل النظام لما جبل علیه کل احد، من انه یشتهی لما له، و یغضب علی ما علیه، وذلك القانون هو الشرع، فالقرآن مشتمل علی شرح قوانین الشریعة، و ضوابط الاختصاص فی ایات المناکحات و المداینات و المواریث، و قسمة الزکوة و الغنایم، و ابواب العتق و الکتابة و الاسترقاق و السبی، و العقوبات الزاجرات عن اسباب المفاسدة، کقتال الکفار و اهل البغی، و الحدود و الغرامات و القصاص و الدیات و الکفارات، اما القصاص فدفعاً للسعی فی اهلاك الانفس و الاطراف، و اما الحدود کحد السرقة و الزنا و غیرهما، فدفعاً لما یستهلك الاموال التی هی من اسباب المعاش و الانساب التی هی طریق الحرث و النسل، و اما جهاد الکفار و اهل البغی فدفعاً لما یفسد به اعتقاد اهل الحق، اذ یتشوش بسبب مروق المارقین عن ضبط السیاسة التی یتولاها حارس السالکین و کافل المحقین، نائباً عن رسول رب العالمین، و اشتمال القران علی الایات الواردة فی هذا الجنس مما لایخفی علیك، و ما یشتمل هذا القسم علیها یسمی علم الحلال و الحرام و حدود الاحکام، و هذا العلم یتولاه الفقهاء، و هو علم یعم الیه الحاجة لتعلقه بصلاح الدنیا اولا، ثم بواسطته بصلاح الاخرة، و لذلك یتمیز صاحب هذا العلم بمزید الاشتهار و التوقیر و التقدیم علی غیره من الوعاظ و القصاص و المتکلمین، و لذلك کثرت فیه التضایف لاسیما فی الخلافیات، مع ان الخلاف فیه قریب، و الخطاء فیه غیر بعید عن الصواب، اذقد یقرب کل مجتهد من ان یقال: ان له اجرا واحداً ان اخطأ، و لصایبه اجران، و لکن لماعظمت فیه الحشمة و الجاه، توفرت الدواعی افراط تشعیبه وتفریعه، و الکل میسر لما خلق له.

١٤– ای التخاصم والتقاتل

الفاتحة الثانية

في الاشارة الى اداب الناظرين في علم القران،
المتدبرين في ايات الله تعالى، وهي عشرة:

الاول: فهم عظمة الكلام، و قد لوحنا اليه في المفتاح السابق شيئاً مما الهمنا الله به، و جعل قسطنا فيه، فلينظر المتأمل في فضل الله و رحمته، كيف لطف بخلقه في ايصال كلامه الى افهامهم و اذواقهم؟ و كيف جذبهم الله بحبل القرآن العظيم في طي اصوات و حروف هي من صفات البشر. ولولا انه استتر كنه جمال كلامه بكسوة الحروف و الالفاظ، لماثبت لسماع كلامه عرش ولافرش، ولتلاشى مابينهما من سبحات نوره و عظمة برهانه، فالله لطيف بعباده حيث انزل اليهم نور كلامه في ليالي الاكوان الطبيعية و حجب الصفات البشرية، ولولا ان ثبت الله موسى سلام الله على نبينا وعليه، لما اطاق سماع كلامه، كما لم يطق الجبل مبادي تجليه، حيث صار دكاً دكاً، ثم العجب ان هذا الكلام مع نزوله في طي هذه الحجب الجسمانية، و احتجابه بسواد هذه الارقام الظلمانية، لم يمنع عن مشاهدة انوار الحكمة، ولمعات جمال الاحدية، بل تنورت الحروف و الاصوات بنور المتكلم، و تشرفت الكتابة و الارقام بشرفه، فكان الصوت للحكمة جسدا و مسكنا، و نور الحكمة للصوت نفساً و روحاً، فكما ان اجساد البشر تكرم بكرامة الروح، فكذلك اصوات الكلام تكرم و تشرف بشرف الحكمة التي فيها، او لاترى انه رفيع المنزلة نافذ الحكم في القلوب و البواطن، فكيف على الابدان و الظواهر؟ حيث لاطاقة للباطل ان يقوم بين يدي شعاع الحكمة، كما لايستطيع الظلمة ان يقوم قدام شعاع الشمس، وكما لاطاقة لضعفاء الابصار ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس، و لكن ينالون به على قدر ما يجيىء به ابصارهم، و يتسببون به الى حوايجهم، و يهتدون الى معايشهم، فكذلك لاطاقة لضعفاء العقول و البصائر ان ينفذوا ببصائرهم نور عين الحكمة القرآنية، و لكن ينالون منه على قدر ما يستدلون به على صحة الاعتقاد الذي به حيوة العباد يوم المعاد، و يهتدون به الى مصالح دينهم

و دنیاهم، و احکام اولاهم و اخراهم، فالقرآن کالملك المحجوب الغائب وجهه، و الظاهر امره و حکمه، و قد یهتدی الیه وبه من یقف علی سره، فهو مفتاح خزائن الملك و الملکوت، وشراب الحیوة الذی من شرب منه لم‌یمت ابداً، و دواء ا سقام الجهالات، و شفاء امراض ذمائم الصفات التی من سقی منه شربة لم یسقم اصلا.

الثانی: تطهیر القلب عن خبائث المعاصی و ارجاس العقاید الفاسدة، قال الله تعالی: لایمسه الا المطهرون[۱۵]، وقد مرت الاشارة الی ان للقران مراتب و درجات، وله ظهرا و بطنا، فکما ان ظاهر جلد المصحف و ورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس، الا اذا کان متطهراً، فباطن معناه ایضاً محجوب عن باطن القلب، الا اذا کان متطهراً عن کل رجس، مستنیرا بنور التوبة، و کما لایصلح لمس نقوش الکتابة کل ید، فلایصلح لنیل معانیه کل قلب الاالقلوب الصافیة، ولایصل الیها الا من اتی الله بقلب سلیم[۱۶]، ولایمتد الیها الا ایدی النفوس الزکیة الذکیة.

الثالث: حضور القلب و ترك حدیث النفس، و هذه الصفة یتولد عما قبلها، وهو طهارة القلب عن شوائب الاغراض النفسانیة، فان من اخرج عن قلبه محبة الباطل، فیدخل فی قلبه الانس بالحق، ففی القران ما یستبشر به القلب ان کان اهلاله، و کیف لایطلب الانسان الانس بتدبر القران، و یستأنس باشعار المتنبی و محاضرات الراغب و مقامات الحریری؟ و فیه مالایخفی من متنزهات القلوب ومتفرجات الارواح، وبساتین الضمائر و اغذیة النفوس، و قرة العیون و حیوة الحیوان و روح الانسان.

الرابع: التدبر، و هو غیر حضور القلب، اذ رب وقت لایشغل الانسان قلبه بغیرالقرآن، و لکن یقتصر علی سماع القرآن من نفسه من غیر تدبر، و المقصود الاصلی فیه هو التدبر، وهو روح کل عبادة، وعن امیرالمؤمنین علیه السلام: لاخیر فی عبادة لافقه فیها، و لا فی قرائة لاتدبر فیها، و اذا لم یتمکن من التدبر الا بتردیده فلیردد، الا ان یکون فی الصلوة خلف امام، و روی انه صلی الله علیه و آله، قرء بسم الله الرحمن الرحیم، فرددهـا

۱۵ــ واقعه ۷۹ ۱۶ــ شعراء ۸۹

عشرین مرة، و انما رددها لتدبر[۱۷]، فی معانیها، وعن ابی‌ذر، قال: قام رسول الله بنا لیلة، فقام بایة یرددها، وهی: ان تعذبهم فانهم عبادك[۱۸]، الایة، وقال صلی الله علیه و آله لما نزل علیه قوله تعالی: ان فی خلق السموات والارض واختلاف اللیل و النهار لایات[۱۹]... الایة، ویل لمن قرأها و لم یتفکر فیها

الخامس: الاستنباط، و هو ان یستوضح من کل آیة مایلیق بها، اذ مامن علم الا و فی القران اصله و فرعه و مبداه و منتهاه، قال ابن‌مسعود: من اراد علم الاولین و الاخرین، فلیثور[۲۰] القران، و اعظم علوم القران علم اسماء الله و صفاته و افعاله و علم الاخرة، اما علم الصفات والاسماء فلم‌یدرك منه اکثر الخلق الا ماىناسب طورهم و یلیق بافهامهم، و اما افعاله فوقف مدارکهم علی الجلی منها، و هو صورة السموات و الارض ومابینهما، فلیفهم التالی المدبر منها حقایقها، ای طبایعها اولا، و هو علم الطبیعیات وعلم الخلقة، ثم هیآتها و اوضاعها و حسن ترتیبها و نظمها، و هو علم التعلیمیات و علم القدر، ثم مبادیها و غایاتها، و هو علم المفارقات و علم القضاء و الملکوت، ثم انتقل بفکره من الافعال الی الصفات و الاسماء، وهو علم التوحید، اذالفعل یدل علی الفاعل، فیدل علی عظمته، و من لم‌یعرف من الفعل الا الحرکة و المقدار، لم‌یعرف من الفاعل الا المحرك المصور، ومن لم یدرك من الفعل الاالنقوش او الالوان او الروائح او الطعوم، فلم یکن یعتقد الفاعل الا نقاشا او صباغاً او عطاراً او طاعماً، فینبغی ان یتدبر فی الفعل تدبراً کاملا بحده و حقیقته، لیشهد فی الفعل الفاعل دون الفعل، و من عرف الحق راه فی کل شیء، اذ کل شیء فمنه و الیه و به و له، فهو الکل علی التحقیق فی وحدته، و من لایراه فی کل مایراه، فکأنه ماعرفه، قال امیر المؤمنین علیه السلام: ما رأیت شیئاً الا و رایت الله فیه، ومن عرفه عرف ان کل شیء ما خلا الله باطل، و ان کل شیء هالك الا وجهه[۲۱]، ای هالك ان اعتبر شیئیته و وجوده لنفسه، لاان یعتبر وجوده من

۱۷ــ لتدبره ن ل

۱۸ــ مائده ۱۱۸

۱۹ــ آل عمران ۱۹۰

۲۰ــ ثورالقران، ای بحث عن علمه.

۲۱ــ قصص ۸۸

حيث انه موجود بالله و بقدرته، فيكون له بطريق التبعية ثبات، و بطريق الاصالة بطلان محض، و هذا البطلان غير بطلان الماهيات و الاعيان الثابتة اذا اخذت من حيث هى، او مجردة عن الوجود، فانها من تلك الحيثية باطلة الوجود، ثابتة الشيئية، بخلاف الهويات الوجودية، فانها مأخوذة على وجه الاستقلال باطلات صرفة، و هذا مفتاح من مفاتيح علم المكاشفة.

السادس: التخلى من موانع الفهم، و هو غير تطهير القلب عن درن المعاصى و خبث الصفات الذميمة، فلفهم معانى القران موانع غير ماذكر، اذالقلب لادراك حقايق الاشياء بمنزلة المرآة لانشباح صورها المرئية، كما ان حجب المرآة بعضها داخلية كالطبع و الرين و عدم الصقالة، و بعضها خارجية كوجود الحائل وعدم المحاذاة بوجهها شطرالمطلوب، فكذلك حجب القلب عن الفهم بعضها فى داخله و بعضها فى خارجه، اما الحجاب الداخلى فبعضها من باب الاعدام و القصورات، كالطفولية و البلاهة و الجهل البسيط، و بعضها وجودية كالمعاصى و الرذائل، فمن يكون مصراً على ذنب او متصفا بكبر او حسد، فيمتنع جلية[22] الحق من ان يتجلى فيه، فان ذلك ظلمة القلب و صداه، و به حجب الاكثرون، و كلما كانت الشهوت اشد تراكماً، كانت معانى القرآن اشداحتجابا، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدىء، و معانى القران مثل الصور التى يترآآى فيها، و الرياضة للقلب باماتة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة، قال الله تعالى: ومايتذكر الامن ينيب[23]، و انما يتذكر اولوا الالباب[24]، والذى آثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة، فليس من ذوى الالباب، فكيف ينكشف له اسرار الكتاب، و اما الحجاب الخارجى، فكذلك بعضها عدمية كعدم التفكر، و هو حركة الذهن من المبادى الى النتائج، و هذا فى مثال المرآة عدم توجيه وجهها نحو صورة المطلوب، و بعضها وجودية كوجود الاعتقادات العامية التقليدية، او الجهليات الفلسفية، و هذا بمنزلة الغلاف للمرآة او الحاجز

٢٢ـ اى عظمته الحق ٢٣ـ غافر ١٣

٢٤ـ رعد ١٩

كالجدار و الجبل، وهذه الحجب الوجودية مما رسدلها الشيطان على قلوب بنى آدم، فعميت عليهم اسرار معانى القرآن، قال صلى الله عليه وآله: لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى الملكوت ومعانى القرآن من الملكوت، اذ كل مالايدرك الابنور البصيرة فهومن عالم الملكوت، وهذه الحجب اربعة:

الاول: ان يكون الانسان مصروف الهمم الى تحقيق الحروف و اخراجها من المخارج فى الصلوة وغيرها، هذا مما يتولى حفظه شيطان و كل به، ليصرف وجه القلب عن عالم المعانى، و اعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس.

و ثانيها: التقليد لمذهب سمعه من الشيوخ و جمد عليه، و ثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع لمن وقع منه الاسماع من غير وصول اليه ببصيرة، فهذا شخص قد قيده معتقده، فصار نظره موقوفا على مسموعه، لايمكنه ان يتجاوز عن مقامه، فان لمع برق على بعد، و بداله معنى من المعانى التى تباين مسموعه، حمل عليه شيطان التقليد حملة، و قال: كيف تخالف معتقد اباءك، فيزعم ان ذلك غرور من الشيطان، فيتباعد منه ويحترز عن مثله، و لمثل هذا قالت المتصوفة: ان العلم حجاب، و هذا القول ان صدر عن محققيهم، فالمراد بالعلم العقايد التى استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية، حررها المتعصبون للمذاهب و القوها اليهم، و اما العلم الحقيقى الحاصل بالكشف و المشاهدة بنور البصيرة، فكيف يكون حجابا؟، وهو عين المقصد ومنتهى المطلب.

و ثالثها: ان يكون مستغرقا بعلم العربية و دقايق الالفاظ، مصروف العمر فى تحقيقها، فان المقصود الاصلى من انزال القران ليس الا سياقة الخلق الى جوار الله بتكميل ذواتهم وتنوير قلوبهم بنور معرفة الله و اياته، دون صرف الاوقات فى نحو الكلام و تحسين الالفاظ و علم البلاغة وفن البديع، فان ذلك من التوابع التى بها يقع الاحتجاج على المنكرين، و اما الاستبصار لمعانى ايات القران فيكفى لها دون مابلغ اليه الزمخشرى واترابه، و استفرغوا اوقاتهم و بذلوا غاية سعيهم وجهدهم فيه، فلاجرم

حجروا المعانی الاصلية و حرموا عن جدوی الكلام.

و رابعها: الجمود و الوقوف علی ما قرأه من التفاسير، و ان يعتقد ان لامعنی لكلمات القران الاما يتنا وله علی النقل عن ابن‌عباس و قتاده ومجاهد ومقاتل وغيرهم، و ان ماوراء ذلك تفسير بالرأی، و ان من تجاوز عن النقل منهم فورد عليه مفاد: من فسر القران برأيه فقد تبوء مقعده من النار، فهذا ايضاً من الحجب العظيمة التی اوقعها الشيطان، ليصرف قلوب الكثيرين عن فهم معانی التأويل و انوار التنزيل، و عدم قبولهم اياها عن اهل المكاشفات القرانية، و سيأتی اماطة[۲۵]، هذا الحجاب وفك هذه العقدة ببيان المعنی المراد من التفسير بالرای، و ان ما فهموه يناقض قول امير المؤمنين عليه السلام: الا ان يؤتی العبد فهماً فی القران، و انه لو كان المعنی مقصوراً علی الظاهر المنقول، لماوقع فيه الاختلاف بين الناس.

السابع: التخصيص، وهو ان يقدر العبد انه هو المقصود بكل‌خطاب، فاذا سمع فی القران امراً او نهياً او وعداً او وعيدا، قدر ان الخطاب معه، فليعمل بمؤداه، و ان سمع قصص الاولين و الانبياء عليهم السلام، فليذ عن ان قصة‌السمر[۲۶]، غيرمقصود، بل‌الاعتبار، فليعتبر كيف لايقدر هذا و القران ما نزل علی الرسول صلی الله عليه و آله خاصة، بل شفاء وهدی للعالمين‌ولهذا امرالله الكافة بشكرهذه النعمة العميمة فقال: واذكروا نعمة الله عليكم، وما انزل عليكم من‌الكتاب والحكمة يعظكم[۲۷] وقال: لقد انزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم[۲۸] وقال: هذا بيان للناس وهدی وموعظة للمتقين[۲۹].

الثامن: التأثر و الوجد، و هو ان يتأثر باطنه و يتنور قلبه بانوار الكلام، و يتفنن احواله بحسب اختلاف الايات، فيكون له بحسب كل فهم وجد و حال من الحزن و الخوف والخشية و الرجاء و الفرح، فان الشوق والوجد مغناطيس القرب من عالم التوحيد و الملكوت، و من اشتد شوقه اشتد انجذابه و اتصاله، و تأثر العبد بالتلاوة و التدبر هوان يصير قابد

۲۵ـ ای الدفع

۲۶ـ ای الحديث ليلا

۲۷ـ بقره ۲۳۱

۲۸ـ انبيا ۱۰

۲۹ـ آل عمران ۸

بصفة الاية المذكورة ويتخلق بها، فعند الوعيد يتضائل[۳۰]، من خيفته، كأنه يكاد يموت، و عند التوسع و وعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، و عند ذكر صفات الله و اسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله و عظمته، و عند ذكر الكفار ما يستحيل عليه[۳۱]، يغض صوته و ينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم، و عند ذكر الجنة ينبعث من باطنه شوقاً اليها، و عند وصف النار ترتعد فرايضه خوفا منها، ولما قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعبد الله ابن مسعود: اقرأ على قال: افتتحت سورة النساء، فاذا بلغت الى قوله: فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا[۳۲]، رايت عينيه تذرفان بالدمع، فقال لى: حسبك الان، و هذا لان مشاهدة تلك الحال استغرقت قلبه بالكلية، و لقد كان فى الخائفين من خر مغشياً عليه عند آيات الوعيد، و منهم من مات فى سماع تلك الايات.

فينبغى لتالى القران ان يتصف ذاته بمثل هذه الاحوال، حتى يخرج عن ان يكون حاكياً فى كلامه، فاذا قال: انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم[۳۳]، فاذا لم يكن خائفا كان حاكيا، و اذا قال: عليك توكلنا واليك انبنا[۳۴] ولم يكن حاله التوكل و الانابة كان حاكيا، و اذا قال فلنصبرن على ما اذيتمونا[۳۵]، فليكن حاله الصبر على الاذى و العزيمة عليه، حتى يجد حلاوة التلاوة و فضيلة التدبر و حسن التخلق، فان لميكن بهذه الصفات و لميتردد قلبه بين هذه الحالات، كان حظه من تلاوة القران حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله: الا لعنة الله على الظالمين[۳۶]، وفى قوله: كبرمقتا عند الله ان تقولوا مالاتفعلون[۳۷]، و فى قوله : وهم فى غفلة معرضون[۳۸]، وفى قوله: فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا[۳۹]، الى غير ذلك من الايات، و كان داخلا فى

۳۰ــ اى يتصاغر
۳۱ــ اى كذكرهم لله ولداً و صاحبة
۳۲ــ نساء ۴۱
۳۳ــ انعام ۱۵
۳۴ــ ممتحنه ۴
۳۵ــ ابراهيم ۱۲
۳۶ــ هود ۱۸
۳۷ــ صف ۳
۳۸ــ انبياء ۱
۳۹ــ نجم ۲۹

مصداق قوله: ومنهم امیون لایعلمون الکتاب الا امانی[٤٠]، یعنی التلاوة المجردة، و فی قوله: و کأین من آیة فی السموات و الارض یمرون علیها وهم عنها معرضون[٤١]، و بالجملة فلیکن حاله حال قوم وصفهم الله بقوله: الذین اذا ذکر الله وجلت قلوبهم، و اذا تلیت علیهم ایاته زادتهم ایمانا و علی ربهم یتوکلون[٤٢]، اذ القران انما یراد لاستجلاب هذه الاحوال، اذ بهذه الاحوال یزید القرب و المنزلة عند الله و مشاهدة جلاله و عظمته، و هی اشد مراتب المعرفة، فالمعرفة هی المبدأ و الغایة، لانها عین المعروف بها اذا کملت وتمت، و لهذا قیل: اذاتم العشق فهو الله.

بصیرة کشفیة

اعلم: ان القران مجدد الانزال علی قلوب التالین، و نسبة القلب الی نزوله، نسبة العرش الی استواء الرحمن، و بحسب مایکون القلب علیه من الحالات یکون ظهور القران و نزوله علیه، و ذلك فی حق طائفة. و اما فی حق طائفة اخری، فیکون القران هو الاصل فی الصفة وعرش القلب، یظهر بتلك الصفة عند نزوله، و ذلك لغایة صفائه و انمحاء صفاته، لما سئل الجنید عن المعرفة و العارف فقال: لون الماءلون انائه.

و اعلم: ان الله نعت العرش بما نعت به القران، فکل قرآن مستو لعرشه بالصفة الجامعة لهما، فقرآن کریم لعرش کریم، و قرآن مجید لعرش مجید، و قرآن عظیم لعرش عظیم، و الدرجات الرفیعه لذی العرش کالایات و السور للقران، و لهذا ورد فی الحدیث: اقرأ و ارق کما کنت تقرأ، فاذا نزل القرآن علی قلب عبد وظهر فیه حکمه، و استوی علیه بجمیع ماهو علیه مطلقا، و کان خلقاً لهذا القلب، کان هذا القلب عرشاً له، کما قیل عندما سئل عن خلق رسول الله صلی الله علیه و آله: کان خلقه القران، فما من آیة الا ولها حکم فی قلب هذا العبد، و کان رسول الله صلی الله علیه و آله فی تلاوته اذا مر بآیة نعیم یسئل الله من فضله، و اذا مر بآیة

٤٠- بقره ٧٨ ٤١- یوسف ١٠٥
٤٢- انفال ٢

عذاب و وعید یستعیذ منه، و اذا مر بآیة قصص یعتبر، و هذا عین التدبر لایات القران و الفهم، فاذا لم‌یکن العبد فی تلاوته کذلك، فما نزل علی قلبه القران، ولاکان عرشاً لاستوائه، لانــه ما استوی علیه بهذه الا حکام، و کان نزوله علی قلبه احرفاً ممثلة فی‌خیاله، و کان له‌فی‌تلاوته اجر الترجمة لااجر القرآن، کما قال صلی‌الله علیه وآلــه فــی حق قــوم مــن حفاظ حروف القرآن: یقرؤن القرآن ولایجاوز حناجــرهم، ای لم یصل مــن مقدم الدماغ الا الی لسانهم و حناجرهم، لا الی صدورهم و قلوبهم، ولیس التالی فی الحقیقة الا من تلاه من قلبه المنشرح بنور القرآن، و قلب‌المؤمن وسعه کالعرش الذی وسع استواء الرحمن الذی هو رفیع الدرجــات ذوالعرش، وما احسن التنبیه علی هذا بقوله: ثم استوی علی العرش‌الرحمن فاسئل به خبیراً[۴۳]، ای المسئول الــذی هو بهذه الصفة من الخبرة یعلــم الاستواء، کما یعلم العرش کیفیة استواء الرحمن، وما اعجب تعلیم الله عباده المتقین، الذین قال فیهم: ان تتقوا الله یجعل لکم فرقانا[۴۴]، و اتقوا الله ویعلمکم الله[۴۵]، ای امحو صفات النفس عن قلوبکــم، لیصیر مصورة بصورة القران و صفاته، کما فی قول الشاعر:

رق الزجاج و رقت الخمــر　　　فتشابهــا و تشاکــل الامر

و قوله تعالی: یعلمکم الله، ای یفهمکم معانی القران، اشارة الی فهم مقاصد المتکلم، لان فهم کلامه ان یعلم ماینحصر فی ما تواطأ علیه اهل ذلك اللسان، و هذا لیس بفهم حقیقی، و المطلوب هو الفهم عن المتکلم، لا الفهم عن الکلام، و ذلك لایعلمه الا من نزل الکلام علی قلبه، و الفهم عن المتکلم یختص بالخاصة، و فهم الکلام للعامة، و من فهم عن المتکلم، فهم الکلام دون العکس، وقد حققنا لك سابقاً معنی الکلام الحقیقی، وانه لاینفك عن الفهم، فقد نبهتك علی ما ان علمته کنت علی خیر کثیر واوتیت الحکمة، فنزول القرآن علی القلب بهذا الفهم هی تلاوة الحق علی العبد، و الفهم عنه فیه تلاوة العبد علی الحق، اللهم اجعلنا ممن رزق الفهم عنك،

۴۳ـ فرقان ۵۹　　۴۴ـ انفال ۲۹
۴۵ـ بقره ۲۸۲

انك علی کل شیء قدیر.

التاسع: الترقی، و هو **ان یترقی الی ان یسمع الکلام من الله** لامن نفسه، و قد مر معنی سماع الکلام من الله مراراً، و الغرض هاهنا الاشارة الی درجات القراءة وهی ثلاث، ادناها ان یقدر العبد کأنه یقرأ علی الله واقفاً بین یدیه، و هو ناظر الیه و مستمع منه، فیکون حاله عند هذا التقدیر السؤال و التملق و التضرع و الابتهال.

الثانیة: ان یشهد بقلبه کأن ربه یخاطبه بالطافه و یناجیه بانعامه و احسانه، فمقامه الحیاء و التعظیم و الاصغاء و الفهم.

الثالثة: ان یری فی الکلام المتکلم، و فی الکلمات الصفات، فلاینظر الی نفسه ولا الی تعلق الانعام به من حیث انه منعم علیه، بل یکون مقصور الهم علی المتکلم، موقوف الفکر علیه، کأنه مستغرق بمشاهدة المتکلم عن غیره، و هذه درجة المقربین، و ما قبله فهو درجات اصحاب الیمین، و ما خرج عن هذا فهو درجات الغافلین، و عن الدرجة الثالثة اخبر الامام ابوعبدالله جعفر الصادق علیه السلام فقال: و الله لقد تجلی الله لخلقه فی کلامه، و لکنهم لایبصرون، و قد سألوه عن حالة لحقته فی الصلوة حتی خرمغشیاً علیه، فلما سری[۴۶]، عنه قیل له فی ذلك، فقال علیه السلام: مازلت اردد هذه الایة حتی سمعتها من المتکلم بها، فلم‌یثبت جسمی لمعاینة قدرته، و فی مثل هذه الدرجة یعظم الحلاوة و لذة المناجاة، و لذلك قال بعض الحکماء: کنت اقرأ القران فلا اجدله حلاوة حتی تلوته، کأنی اسمعه من رسول الله صلی الله علیه و آله یتلوه علی اصحابه، ثم رفعت الی مقام فوقه، فکنت اتلوه کأنی اسمعه من جبرئیل علیه‌السلام یلقیه علی رسول الله صلی الله علیه و آله، ثم جاء بمنزلة اخری، فانا الان اسمعه من المتکلم، فعندها وجدت لذة و نعیماً لااصبر عنه، وکذلك قال بعضهم: کابدت[۴۷]، القران عشرین سنة، و تنعمت به عشرین سنة، وعند ذلك یکون العبد ممتثلا بقوله: ففروا الی الله[۴۸]، ولقوله: ولاتجعلوا مع الله الها اخر[۴۹]، بل التوحید

۴۶ـ ای انکشف
۴۷ـ ای تحمل المشاق
۴۸ـ ذاریات ۵۰
۴۹ـ ذاریات ۵۱

الخالص ان لايرى فى كل شىء الا الله الواحد القهار.

العاشر: التبرى، و المراد منه ان يتبرأ من حوله وقوته، و الالتفات الى نفسه بعين الرضا و التزكية، فاذا تلى آيات الوعد و المدح للصالحين، فلايشهد لنفسه عند ذلك بل[50]، للموقنين و المحسنين، و يتشوق ان يلحقه الله بهم، و اذا تلى آيات المقت و الذم للعصاة، شهد نفسه هناك، و قدر نفسه المخاطب خوفا و اشفاقا، و الوجه فى هذا ان الانسان لما كان عن شأنه ان يتطور باطوار الوجود، و يتحرك من حضيض النقص الى ذروة الكمال، و المتحرك فى كل مقولة يجب ان يكون حاله بحسب تلك المقولة مابين محوضة الفعل و صرافة القوة، اذ متى حصلت له فعلية تلك المقولة انقطعت حركته، فكذلك النفس فى تدرجها الى مراتب الكمال يجب ان يكون منكسرة البال، خائفة خاسئة وجلة غير راضية بشأنها وحالها التى فيها، حتى يقع لها الترقى الى حالة فوقها، فاذا رأى الانسان نفسها بصورة التقصير، كان رؤيته سبب قربه، فان من اشهد البعد فى القرب لطف له الخوف، حتى يسوقه الى درجة اخرى فى القرب ورائها، و من اشهد[51] القرب فى البعد مكر به الامن و يفضيه الى درجة اخرى فى البعد اسفل مما كان فيه، فمهما كان مشاهداً نفسه بعين الرضا صار محجوباً بنفسه، و اذا جاوز حد الالتفات الى نفسه، و لم يشاهد الا الله فى تلاوته، انكشفت له الملكوت و بعد ان يتبرى القارى عن حول النفس و قوتها، و لم يلتفت اليها، يقع له مكاشفات بحسب احوال المكاشف، فحيث يتلوآيات الرجاء، يغلب على حاله الاستبشار، و ينكشف له صورة الجنة كأنه يراها عيانا، و ان غلب عليه الحزن كوشف بالنار، حتى يرى انواع عذابها، و ذلك لان كلام الله مشتمل على السهل اللطيف، و الشديد العسوف، و المرجو و المخوف، وذلك بحسب اوصافه، اذمنها الرحمة واللطف والانتقام و البطش، فبحسب مشاهدة الكلمات و الصفات ينقلب القلب فى اختلاف الحالات، و بحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسبها، اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحداً و المسموع مختلفاً، اذ فيه كلام راض و كلام غضبان، و

۵۰ــ بل يشهد (احياء) ۵۱ــ شهد (احياء)

كلام منعم و كلام منتقم، و كلام جبار متكبر لايبالى، و كلام حنان متعطف لايهمل، فهذه عشرة آداب للمتأمل التالى للقران، و جدناها فى كتاب الاحياء، فنقلناها من غير كثير تفاوت فى صورة الالفاظ، مع زوايد اردفناها زيادة فى الاستبصار، و تكثير الفوايد اهل النظر و الاعتبار.

الفاتحة الثالثة

فى فهم القرآن و تفسيره بالراى

قد غلب على طبايع اكثر الناس ان لامعنى للقران الا مانقل عن ابن عباس و سايرالمفسرين، و منشأ حجرهم[٥٢]، التجاوز عن الظاهر المشهور امور كثيرة، اظهرها امران:

احدهما غلبة احكام الظاهر عليهم، و قصور افهامهم عن ادراك بواطن القران و اسرار الايات، فلحقهم عند سماع معانى التأويل ما لحق عيون الخفافيش عند سطوع انوار الشمس عليها.

والثانى الحديث المشهور حيث لم يفهموا المراد منه، و ما معنى التفسير بالرأى الذى يوجب القعود فى النار، و لو تفطنوا قليلا لعلموا: ان ما اعتقدوه من ان كل من فسر القران على غيرما سمعه بالنقل لكان كافرا، لوكان صحيحاً، فما معنى فهم القران سوى المنقولات؟ بل ما معنى قوله: من فسر القران برأيه فليتبوء مقعده من النار.

فاعلم: ان مثل هؤلاء الساكنين فى عالم الحس و المحسوس، المقتصرين على المقروع و المسموع، اذا زعم ان لامعنى للقران الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه، مصيب فى ذلك، و لكن اخطأ فى رد كافة الناس الى درجة فهمه التى هى موطنه و مقره وحده و مخطاه، وكيف كان حال المسافر بل الطاير كحال الساكن بل الزمن و الاخبار تدل على ان ميدان معانى القران رحب لسياحة اهل الفهم، و فضاؤها متسع لطيران اصحاب الشوق و الوجدان، و قال امير المؤمنين عليه السلام: الا ان يؤتى الله عبداً فهما فى القران، فان لم يكن سوى حفظ

٥٢ـ اى منعهم

الترجمة المنقولة، فما معنى الفهم؟ و قال: ان للقران ظهراً و بطنا وحدا و مطلعاً، وفى رواية الى سبعة ابطن، فما معنى ذلك؟ و قال: لوشئت لاوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب، و فى رواية من تفسير الفاتحة، و تفسير ظاهرها فى غاية الاختصار، و قال بعض العلماء: لكل اية ستون الف فهم، ومابقى من فهمها اكثر، و قال اخر: القران نحو من سبعة و سبعين الفالف علم و مأتى علم، اذ لكل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك اربعة اضعاف، اذ لكل كلمة ظاهر و باطن و حد ومطلع، و ترديد رسول الله صلى الله عليه و آله: البسملة عشرين مرة، لايكون الا لتدبره باطن معانيه، و الا ترجمته و تفسير ظاهره لايحتاج مثله الى تكريره، و قول ابن‌مسعود: من اراد علم الاولين و الاخرين فليثور القران، و مجرد ظاهر التفسير لايشير الى ذلك.

و الحاصل: ان العلوم كلها داخلة فى افعال الله و صفاته، و فى القران شرح ذاته و صفاته و افعاله، و هذه العلوم لانهاية لها، و فى‌القران ذكر مجامعها، و التعمق فى تفاصيل مقاماتها راجع الى الفهم و الاستنباط، و مجرد ظاهر التفسير لايشير الى ذلك، و لذلك قال صلى الله عليه و آله اقرؤا القران و التمسوا غرايبه، و عن امير المؤمنين عليه‌السلام انه قال: قال رسول الله صلى‌الله عليه وآله: والذى بعثنى بالحق لتفرقن[٥٣]، امتى عن اصل دينها و جماعتها على اثنين و سبعين فرقة، كلها ضالة مضلة يدعون الى النار، فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله تعالى فان فيه نبأ ما كان قبلكم، و نبأ ما يأتى بعدكم، و حكم مابينكم، من خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالى، و من ابتغى العلم فى غيره اضله، و هو حبل الله المتين، و نوره المبين، و شفاؤه النافع، عصمة لمن تمسك به، و نجاة لمن اتبعه، لايعوج فيقام، ولايزيغ فيستقيم[٥٤]، ولاينقضى عجايبه ولايخلقه كثرة ترديد الحديث، و عن ابى عبدالله جعفر الصادق عليه‌السلام انه قال: ان الله انزل فى القران تبيان كل شىء، حتى و الله ماترك شيئا يحتاج اليه العباد، حتى لايستطيع عبد ان يقول: لوكان هذا انزل فى القران الاوقد انزل الله

٥٣– ليفرقن ن م ليفترقن ن ل ٥٤– فيستقام ن ل

فیه، و عنه علیه السلام: ما من امر یختلف فیه اثنان الا و له اصل فی کتاب الله، و لکن لایبلغه عقول الرجال، فهذه الامور تدل علی ان فی فهم معانی القران مجال رحب و متسع بالغ، فان المنقول من ظاهر التفسیر لیس منتهی[٥٥]، الادراك فیه، و اما قوله صلی الله علیه وآله: من فسر القران برأیه، و النهی عنه، فلایخلو اما ان یکون ترك الاستنباط و الاستقلال بالفهم، و الاقتصار علی ظاهر المنقول، او امر آخر، و الاول باطل لوجوه.

منها: ماذکر، و منها انه لوکان ذلك مشروطاً بالسماع عن النبی صلی الله علیه و آله، للزم ان یکون اکثر مایقوله ابن‌عباس وعبدالله بن مسعود و غیرهم من عند انفسهم، فینبغی ان لایقبل، لکونه تفسیراً بالرأی، و کذا غیرهم من الصحابة و التابعین، و ذلك لان اقوالهم فی الاکثر مختلفة لایمکن الجمع بینها، و سماع الجمیع منه صلی‌الله علیه وآله لایصارف[٥٦]، الافی بعض القران، والنقل شهادة، والاحاد لاتفیده، و التواتر غزیر، فاذا وجد فاللفظ یحتمل معان کثیرة، لان النصوص غزیرة، و ربما یعارض النص بنص اخر، و لم‌یصل الیهم، و لذلك وقع الاختلاف.

و منها: ان الصحابة اختلفوا فی تفسیر بعض الایات الی اقاویل مختلفة لایمکن الجمع بینها وسماع الجمیع منه صلی الله علیه و آله محال، فکیف یکون الکل مسموعا؟.

و منها: انه دعا لامیرالمؤمنین علیه‌السلام او لابن عباس علی اختلاف النقل، اللهم فقهه فی الدین، و علمه التأویل، فان کان التأویل مسموعاً کالتنزیل، فما معنی تخصیصه بذلك.

و منها: انه قال تعالی: لعلمه الذین یستنبطونه منهم[٥٧]، ومعلوم ان المراد فهم ماوراء السماع، فجاز لکل احد ان یستنبط من القران بقدر قوة فهمه وغزارة علمه، بل نقول: قوله صلی‌الله علیه وآله: من ابتغی العلم فی غیر القران اضله الله، یعم تقلید الناس ایضاً، و الاعتماد علی اقوالهم من غیربصیرة لمن استطاع الی کلام الله سبیلا، و هذا بعینه سبیل‌المؤمنین،

٥٥ـ ینتهی ن م ٥٦ـ یصادف ن ل

٥٧ـ نساء ٨٣

الذين نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم، يقولون ربنا اتمم لنا نورنا[۵۸]، و اما النهى الوارد فى ذلك الحديث فيحمل على احد وجهين.

الاول: ان يكون له فى الشىء رأى، و اليه ميل من طبعه و هواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه، فيكون قد فسر برأيه، اى رأيه حمله على هذا التفسير، ولولا رأيه لمايترجح عنده ذلك الوجه.

والثانى: ان يتسارع الى تفسير القران بمجرد العربية، من غير استظهار بالسماع و النقل فيما يتعلق بغرايبه، و مافيه من الالفاظ المبهمة، وما فيه من الحذف و الاضمار و التقديم و التاخير و الاختصار، فالنقل و السماع لابدله فى ظاهر التفسير اولا، ليتقى مواضع الغلط و الاشتباه، ثم بعد ذلك متسع الفهم و الاستنباط، فمن لم يحكم ظاهرالتفسير، و بادر الى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه، و دخل فى زمرة من فسر بالرأى، و اكثر المفسرين غير العرفاء منهم فى هذه الخطر.

و اما العارف الربانى فمأمون من الغلط، معصوم من معاصى القلب، اذكل ما يقوله حق وصدق، حدثه قلبه عن ربه، وقد مر انالفهم لاينفك عن الكلام الوارد القلبى.

تذكير

قال صاحب الفتوحات فى باب الخمسين منها: ان اصحابنا يجدون اليوم غاية الالم، حيث لايقدرون ارسال ماورد عليهم من المعانىالكشفية كما ارسلت الانبياء عليهم السلام، فما اعظم تلك التجليات، و انما منعهم ان يطلقوا ما اطلقت[۵۹]، الكتب المنزلة والرسل، عدم انصاف السامعين من الفقهاء و الحكام، لما يسارعون اليه فى تكفير من يأتى بمثل ماجاءت بـه الانبياء فى جنب الله، و تركوا معنى قوله تعالى: لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة[۶۰]، كما قال له ربه عزوجل عند ذكره الانبياء والمرسلين: الذين هدى الله فبهديهم اقتده[۶۱]، فاغلق الفقهاء هذا الباب من اجل المدعين الكاذبين

۵۸ـ تحريم ۸
۵۹ـ اطلقت عليه (فتوحات)
۶۰ـ احزاب ۲۱
۶۱ـ انعام ۹۰

فى دعويهم، ونعم ما فعلوا وما على الصادقين[٦٢]، من ضرر، لان الكلام و العبارة عن مثل هذا ما هو ضربة لازب، و فى ماورد فى الكتاب و السنة فى ذلك كفاية لهم، فيوردونها و يستريحون اليها من الكلمات التى لو انفرد بها الولى كفر و ربما قتل، و اكثر علماء الرسوم عدموا علم ذلك ذوقا و شرباً، فانكروا مثله من العارفين حسداً من عند انفسهم، و منعهم الحسد ان يعلموا ان ذلك رد على الكتاب و تحجير على رحمة الله ان تنال بعض عباد الله شيئاً مما ناله الانبياء، واكثر العامة تابعون للفقهاء فى هذا الانكار تقليداً لهم، لابل الاقل منهم، الحمدلله، و كذا الملوك لكون الغالب عليهم القصور عن درجة الكشف، فساعدوا علماء الرسوم الا القليل منهم، فانهم اتهموهم لما رأو من انكبابهم على تحصيل الجاه و الرياسة، و تمشية اغراض الملوك فيما لايجوز، فبقى العلماء بالله تحت ذل العجز و الحصر معهم، كنبى كذبه قومه، وما امن به واحد منهم، و لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يحرس حتى نزل: والله يعصمك من الناس[٦٣]، فانظر ما يقاسيه فى نفسه العالم بالله، فسبحان من اعمى بصائرهم حيث اسلموا، و سلموا ما انكروا، و امنوا بما به كفروا، فالله يجعلنا ممن عرف الرجال بالحق، لابالحق بالرجال.

الفاتحة الرابعة

فى بيان مذاهب الناس فى باب متشابهات القران

اعلم ان للناس فى باب متشابهات القران و الحديث، كقوله: يد الله فوق ايديهم[٦٤]، وقوله: استوى على العرش[٦٥]، وجاء ربك[٦٦]، وكذلك الوجه و الضحك و الحياء و الغضب و الاتيان فى ظلل من الغمام و مايجرى مجراها من الالفاظ التشبيهية الكثيرة[٦٧] مذاهب.

احدها: مسلك اهل اللغة، و عليه اكثر الفقهاء و المحدثون و

٦٢ـ فى هذا من (فتوحات)
٦٣ـ مائده ٦٧
٦٤ـ فتح ١٠
٦٥ـ اعراف ٥٤
٦٦ـ فجر ٢٢
٦٧ـ كثرة ـ المطبوعة

الحنابلة و الكرامية، و هو ابقاء الالفاظ على مدلولها الاول و مفهوماتها الظاهرة، و ان كان منافيا للقوانين العقلية، زعما منهم: ان الذى لايكون فى مكان وجهة ممتنع الوجود، و ان قول الحكماء فى صفة المجرد ليس بداخل العالم ولا خارجه، و لامتصل ولامنفصل، ولاقريب ولابعيد، ولافوق ولاتحت، لامتناه ولا لامتناه، ليس الا من صفات المعدومات و سمات الامور الذهنية الصرفة، فان كل موجود موصوف بتلك الصفات، و اثبات اخس صفات الامور، بل علامات اللاشىء لواجب الوجود الحى القيوم، بانه مدح و ثناء و صفة كمال ممايتعجب عقل كل لبيب، ولم يعلموا ان هذه الامور فى الحقيقة سلوب لاوصاف النقايص عن البارى، لا انها اوصاف كمالية للذات الاحدية، وله صفات حقيقية كمالية سوى هذه السلوب، و انما مجده و علوه بذاته لا بهذه السلوب، لكن سلب النقايص ممايلزم الكامل بحسب صفاته الوجودية الكمالية، كما ان سلب الجمادية يلزم الانسان بواسطة كونه نامياً، و سلب الشجرية بواسطة كونه حيواناً، و سلب الاعجمية بواسطة كونه ناطقا، و الواجب جل مجده يلزمه سلب جميع النقايص عنه لاجل ذاته الاحدية من غير تركيب.

و ثانيها: منهج ارباب النظر و التدقيق و اصحاب الفكر و التعميق، وهو تأويل الالفاظ و صرفها عن مفهومها الاول الى معان تطابق قوانين النظر و مقدمات الفكر التراماً لتلك القوانين، و تحفظاً على تنزيه رب العالمين عن نقايص الامكان و سمات الحدثان و مثالب الاكوان.

و ثالثها: الجمع بين القسمين، و الخلط من المذهبين التشبيه فى البعض، و التنزيه فى البعض، فكل ماورد فى باب المبدأ ذهبوا فيه الى مذهب التنزيه، و كل ماورد فى المعاد جروا على قاعدة التشبيه، كمن يؤمن ببعض ويكفر ببعض، و هذا مذهب اكثر المعترلين، كالز مخشرى و القفال و غيرهما من اهل الاعترال.

و رابعها: مسلك الراسخين فى العلم، الذين ينظرون بعيون صحيحة منورة بنور الله فى اياته من غير عور ولاحول، و يشاهدونه فى جميع الاكوان من غير قصور ولاخلل، اذ قد شرح الله صدورهم للاسلام، و نور

قلوبهم بنور الایمان، فلانشراح صدورهم و انفتاح روزنة قلوبهم یرون ما لایراه غیرهم، و یسمعون مالایسمعون، لیس لهم حرارة التنزیه ولابرودة التشبیه ولا الخلط بینهما، کالفاتر من الماء، بل الخارج عن عالم الاضداد کجوهر السماء، فالخارج عن الضدین لیس کالجامع للطرفین، و سنشیر الی کیفیة مذهبهم فی ذلک باشارة خفیة، و منهم من تحیر فی تلک الایات و لم یمکنه التخلص عن ورطة الشکوک و الشبهات.

قال ابوعبدالله محمد الرازی صاحب التفسیر الکبیر وکتاب نهایة العقول فی اخر مصنفاته، و هو کتاب اقسام اللذات، لما ذکر ان العلم بالله و صفاته و افعاله اشرف العلوم، و ان علی کل مقام منه عقدة الشک، فعلم الذات علیه عقدة، ان الوجود عین الماهیة او الزاید علیها، و علم الصفات علیه عقدة، انها امور زایدة علی الذات ام لا، و علم الافعال، هو الفعل منفک عن الذات متأخر عنها او لازم مقارن لها، ثم انشد:

نهایة اقدام العقول عقال و اکثر سعی العالمین ضلال
و ارواحنا فی وحشة من جسومنا و حاصل دنیانا اذی و وبال
ولم تستفد من بحثنا طول عمرنا سوی ان جمعنا فیه قیل وقال

ثم قال: لقد تأملت الکتب والطرق الکلامیة والمناهج الفلسفیه، فما رأیتها تشفی علیلا ولاتروی غلیلا، و رأیت اقرب الطرق طریقة القران، اقرأ فی الاثبات، الرحمن علی العرش استوی[۶۸]، الیه یصعد الکلم الطیب[۶۹]، وفی النفی، لیس کمثله شیء[۷۰]، ولایحیطون به علما[۷۱]، ومن جرب مثل تجربتی عرف مثل معرفتی، و قال ابن ابی الحدید البغدادی، و هو من اعاظم المعتزلة المتفلسفة: یا اغلوطة الفکر، حار امری و انقضی عمری، سافرت فیك العقول، فما ربحت الا اذی السفر، زعموا انك المعروف بالنظر، کذبوا ان الذی ذکر، خارج عن قوة البشر، کان یقول خونجی، الذی سمی کتابه کشف الاسرار: اموت و لم اعرف شیئا الا ان الممکن مفتقر الی مرجح ثم قال: الافتقار امر سلبی، اموت و لم اعرف.

۶۸ـ طه ۵ ۶۹ـ فاطر ۱۰
۷۰ـ شوری ۱۱ ۷۱ـ طه ۱۱۰

اقول: هذه الافة و القصور انما لحقت هؤلاء لاعتمادهم طول‌العمر على طريقة البحث و الجدل، و عدم مراجعتهم الى طريقة اهل الله، و هى التأمل فى كتاب الله و سنة نبيه بقلب صاف فارغ عن محبة غير الله، من حب الجاه و الرياسة و الثروة و الشهرة و الوعظ و التدريس، و صرف وجوه الناس اليهم، و الاستطالة على الحق، و التفوق على الاقران، و الاقبال على الدنيا بكلية القلب، و الاخلاد الى الارض، و التبسط فى‌البلاد، و التقرب الى السلاطين، و التنفر عن الفقراء و المساكين، الى غيرذلك من نتايج الهوى، و لوازم العدول عن طريق الهدى و المحجة البيضاء، والا فالطريق الى‌الله واضح فى غاية الانارة والسطوع، والهداة موجودون، والقواد مأمونون، و الله لايضيع اجر المحسنين[۷۲]، قال تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد[۷۳]، وقال: من قرب الى شبراً قربت اليه ذراعاً و قال: اذا طال شوق الابرار الى لقائى، فانا اشد شوقاً الى لقائهم، من كان‌لله كان الله له.

الفاتحة الخامسة

فى نقل ماذهب اليه بعض المفسرين على قاعدة الاعتزال

قال القفال فى تفسير قوله: الرحمن على العرش استوى[۷۴]، المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله و كبريائه، و تقريره: انه تعالى خاطب عباده فى تعريف ذاته و صفاته بما اعتادوه من ملوكهم و عظمائهم، فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتاً يطوف الناس به، كما يطوفون بيوت ملوكهم، و امر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم، و ذكر فى الحجر الاسود انه يمين‌الله فى‌ارضه، ثم جعله موضعا للتقبيل، كما يقبل‌الناس‌ايدى ملوكهم، و كذا ماذكره فى محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة و النبيين و الشهداء و وضع الموازين، فعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشاً فقال: الرحمن على العرش استوى[۷۵]، ثم وصف عرشه على الماء، ثم قال:

۷۲ـ توبه ۱۲۰
۷۳ـ قصص ۸۵
۷۴ـ طه ۵
۷۵ـ طه ۵

وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون[۷۶]، و قال: ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية[۷۷]، ثم اثبت لنفسه كرسياً، فقال: وسع كرسيه السموات والارض[۷۸].

اذا عرفت هذا فنقول: كلما جاء من الالفاظ الموهمة للتشبيه من العرش و الكرسى، فقد ورد مثلها بل اقوى منها فى الكعبة و الطواف و تقبيل الحجر، ولما توقفنا هاهنا على ان المقصود تعريف عظمة الله وكبريائه مع القطع بانه منزه عن ان يكون فى الكعبة، فكذا الكلام فى العرش و الكرسى، انتهى كلامه.

وقد استحسنه كثير من العلماء المفسرين، و تلقاه بالقبول جم غفير من الفضلاء المتفكرين، كالزمخشرى و الرازى و النيشابورى و البيضاوى، و ظنى ان ماذكره القفال و استحسنه هؤلاء المعدودون من اهل الفضل و الكمال غير مرضى عند الله و عند رسوله، لان حمل هذه الالفاظ الواردة فى القران و الحديث على مجرد التخييل و التمثيل من غير حقيقة، قرع باب السفسطة والتعطيل وسد باب الاهتداء والتحصيل اذ يتطرق تجوز[۷۹] مثل هذه التخييلات و التمثيلات ينسد باب الاعتقاد بالمعاد الجسمانى، و احوال القبر و الصراط و الميزان و الجنة و النار و ساير المواعيد، اذ يجوز لاحد عند ذلك ان يحمل كلا من تلك الامور على مجرد تخييل بلاتحصيل، فكما جاز ان يحمل بيت الله و تقبيل الحجر و ما فى محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة و النبيين و الشهداء و وضع الموازين على مجرد التخييل و التخويف و الترغيب و الارجاء و الترهيب و الانذار، فليجز مثل ذلك فى الحساب و الميزان و الكتاب و الجنة والنار و الزقوم و الحميم و تصلية جحيم، بل الحق المعتمد ابقاء صور الظواهر على[۸۰] هيئتها و اصلها، اذ ترك الظواهر يؤدى الى مفاسد عظيمة، نعم: اذا كان الحمل على الظواهر مناقضاً بحسب الظاهر لاصول صحيحة دينية، و

۷۶ـ زمر ۷۵
۷۷ـ حاقه ۱۷
۷۸ـ بقره ۲۵۵
۷۹ـ تجويز ن ل
۸۰ـ فى ن ل

عقاید حقة یقینیة، فینبغی للانسان ان یقتصر علی صورة اللفظ ولایبدلها، و یحیل العلم به الی الله تعالی و الراسخون فی العلم، ثم یترصد لهبوب ریاح الرحمة من عند الله، و یتعرض لنفحات جوده و کرمه، رجاء ان یأتی الله بالفتح اوامر من عنده، و یقضی الله امراً کان مفعولا[۸۱]، امتثالا لامره صلی الله علیه و آله: ان لله فی ایام دهرکم نفحات، الا فتعرضوا لها.

ثم ان الذوق الصحیح من الفطرة السلیمة کما انه شاهد بان‌متشابهات القران لیس المراد بها مقصوراً علی مایعرف کنهها کل احد من الاعراب و البدویین و القرویین و عامة الخلق، و ان کان قشور منها لکل احد فیها نصیب، کذلک هو شاهد ایضا بان المراد لیس مجرد تصویر و تمثیل یعلمه کل من کان له قوة التمیز و التصرف فی الافکار بحسب استعمال میزان الفکر و القیاس من غیر مراجعة الی سبیل الله و مکاشفة الاسرار، والا لما قال سبحانه فی باب المتشابه من القران: ومایعلم تأویلـه الا الله و الراسخون فی العلم[۸۲]، ولما قال فی‌الغامض منه: لعلمه الذین یستنبطونه[۸۳]، ولما دعا رسول الله صلی الله علیه و آله فی حق امیرالمؤمنین علیه‌السلام: اللهم فقهه فی الدین و علمه التأویل، فان کان علم التأویل امراً حاصلا بمجرد الذکاء الفطری، او المکتسب بطریق القواعد العقلیة المتعارف بین النظار، لماکان امراً خطیراً و خطبا عظیماً استدعاه رسول الله صلی الله علیه و آله بالدعاء من الله لاحب خلقه الیه، وهو علی علیه السلام، اما ما ذکره القفال فی باب زیارة البیت و تقبیل الحجر، فلیس الامر کما توهمه هو و من تبعه، بل ینبغی ان یعلم ان لله و صفاته فی کل عالم من العوالم مظاهر و مرائی ومنازل و معالم یعرف بها، فکما ان قلب الادمی اشرف البقاع من البدن و اعمرها و اخصها باقامة الروح، لکونه مورد فیض الروح الانسانی اولا، و مهبط نوره، و بواسطته یسری الی سایـر مواضع البدن، و هذا الاختصاص امر فطری الهی من غیر وضع واضع، و انمـا واضعه و عامره هو الله، و هو بیت معرفة الله، لان معرفة الشیء من حیث

۸۱ـ انفال ۴۲
۸۲ـ آل عمران ۷
۸۳ـ نساء ۸۳

هی معرفته لیست شیئا غیره، فیکون بیت الله ایضاً بهذا المعنی بالحقیقة، و کذلك الکعبة بیت الله، و اشرف بقاع الارض التی فیها یعبد الله، و اول بیت وضع للناس فی الارض، و محل العبادة بما هی عبادة، هو محل حضور المعبود و موقف شهوده، فیکون بیتاًله بالحقیقة لا بالمجاز و التخییل، و یکون بیتاً معقولا لا محسوساً باحدی هذه الحواس، و ما هو المحسوس منه لیس ببیته، اذ لیس المحسوس من حقیقته، بما هو محسوس معبداً و مشعراً للعبادة، بل هو من هذه الجهة کسایر مواضع الارض، ولابد ان تعلم: ان المحسوس ذا الوضع لیس بذاته محسوساً من کل وجه، فان زیداً مثلا لیس کونه محسوساً من جمیع وجوهه، بل انما محسوسیته من حیث کونه متقدراً متحیزاً ذا وضع، و اما من حیث کونـه موجوداً مطلقاً او جوهراً ناطقاً متوهماً متخیلا فلیس ما یناله الحس، ولا الیه الاشارة الوضعیة من هذه الجهة، او لاتری ان النبی صلی الله علیه و آله قال: ان المسجد لینزوی بالنخامة[۸۴]، مع ان المحسوس منه لم یتغیر مساحته اصلا، و کانت قبل النخامة و بعدها واحدة، فکأن مراده صلی الله علیه و آله ان النخامة یوجب قلة توقیره و تعظیمه، لانه محل عبادة الله، فیجب ان یکون موقراً مستعظماً، و القاء النخامة فیه ینافی ذلك، فیقل عظم قدره فی العقل لافی الحس، و هذا و امثاله مما یدرکه اصحاب ا لکشف و البصیرة، و کذا قیاس الحال فی تقبیل الحجر و نظایره.

روی الشیخ الجلیل محمدبن علی بن بابویه القمی رحمه الله فی کتاب من لایحضره الفقیه عن عیسی بن یونس، قال: کان ابن ابی‌العوجاء من تلامذة الحسن البصری، فانحرف عن التوحید، فقیل له ترکت مذهب صاحبك و دخلت فیما لا اصل له ولاحقیقة، فقال: ان صاحبی کان مخلطا، کان یقول طوراً بالقدر و طوراً بالجبر، و ما اعلمه اعتقد مذهباً دام‌علیه، فقال: و دخل مکة تمرداً و انکاراً علی من یحج، و کان یکره العلماء مسایلته ایاهم و مجالسته بهم، لخبث لسانه و فساد ضمیره، فاتی جعفر بن محمد علیهما السلام، فجلس الیه فی جماعة من نظرائه، ثم قال‌له ان‌المجالس

۸۴ـ ای ینضم ویتقبض

امانات[۸۵]، ولابد لکل من کان به[۸۶] سؤال ان یسئل فتأذن لـی فـی الکلام؟ فقال تکلم، فقال لی کم تدوسون هذا البیدر و تلوذون بهذا الحجر، تعبدون هذا البیت المرفوع بالطوب و المدر، و تهرولون حوله هرولة البعیر اذا نفـر، من فکرفی هذا او قدر[۸۷]، علم ان هذا فعل اسسه غیرحکیم ولا ذی نظر، فقل فانك رأس هذا الامر وسنامه و ابوك اسه و نظامـه، فقـال ابوعبدالله علیه السلام، ان من اضله الله و اعمی قلبه، استوخم الحق فلم یستعذ به، وصار الشیطان ولیه یورده مناهل الهلکة، ثم لایصدره، و هـذا بیت استعبد الله به من خلقه لیختبر طاعتهم فی اتیانه، فحثهم علـی تعظیمه و زیارته، و جعله محل انبیائه و قبلة للمصلین له، فهو شعبة من رضوانه، و طریق یؤدی الی غفرانه، منصوب علی استواء الکمال، و مجتمع العظمة و الجلال، خلقه الله قبل دحو الارض بالفی عام، و احق من ان اطیع فیما امر، و انتهی عما نهی عنه، و زجرالله المنشیء للارواح بالصور[۸۸]، فقـال ابن ابی‌العوجاء: ذکرت یا اباعبدالله فاحلت علی غائب، فقالت ابوعبدالله علیه‌السلام: ویلك فکیف یکون غائباً من هو مع خلقه شاهد، و الیهم اقرب من حبل الورید، یسمع کلامهم و یری اشخاصهم و یعلم اسرارهم، و انما المخلوق الذی اذا انتقل عن‌مکان اشتغل‌به مکان، و خلا منه مکان، فلایدری فی المکان الذی صار الیه ماحدث فی المکان الذی کان فیه، فاما الله العظیم الشأن الملك الدیان، فانه لایخلو منه مکان و لایشتغل به مکان، ولایکون الی مکان اقرب منه عن[۸۹]، مکان، والذی بعثه بالایات المحکمة و البراهین الواضحة، و ایده بنصره و اختاره لتبلیغ رسالته، صدقنا قوله بان ربه بعثه و کلمه، فقام عنه ابن ابی‌العوجاء فقال لاصحابه: من القانی فی بحر هذا؟ سألتکم ان تلتمسوا لی خمرة، فالقیتمونی علی جمرة.

۸۵ـ بالامانات (توحید)
۸۶ـ سعال ان یسعل (توحید)
۸۷ـ وقدر (توحید)
۸۸ـ والصور (توحید)
۸۹ـ الی (توحید)

الفاتحة السادسة

فى التنبيه على فساد ما ذهب اليه اهل التعطيل من سوء التأويل.

و مما يدل على ان اسرار التأويل و التنزيل و الانزال اجل مقالا و اعظم منالا من ان يناله بقوة التفكر اهل الاعتزال كالزمخشرى والقفال وغيرهما من آحاد المتكلمين و المتفلسفين، ما رواه ابوبصير عن ابى عبدالله عليه‌السلام انه قال: نحن الراسخون فى العلم، و نحن نعلم تأويله و فى رواية اخرى رواها عبدالرحمن بن‌كثير قال: الراسخون فى العلم اميرالمؤمنين و الائمة من بعده عليهم السلام و عن ابى‌بصير قال: سمعت اباجعفر محمد عليه‌السلام فى هذه الايه، بل هو‌ايات بينات فى صدورالذين اوتوا العلم[٩٠]، فاوءى بيده الى صدره، اذ قد علم ان فهم رموز القران و اغواره و اسراره مما لايمكن حصوله بدقة الفكر و كثرة البحث والنظر، من غير طريق التصفية و المراجعة الى اهل بيت الولاية، و اقتباس انوار الحكمة من مشكوة علوم النبوة و استضائة اضواء المعرفة من جهة احكام التابعية المطلقة، و تصفية الباطن بالعبودية التامة، و اقتفاء آثار الائمة الماضين الواقفين على اسرار الشريعة، و تتبع منار الهداة المتقين المطلعين على انوار الكتاب و السنة، لينكشف على السالك شيء من انوار علوم الملائكة و النبيين، و يتخلص من ظلمات اقاويل المبتدعين، وستسمع انموزجاً مما وصل الينا فى هذا الباب من اسرارهم، و تتبعنا من انوارهم، ليكون لك دستوراً و ميزاناً يمكنك به ان تنظر من ثقبة اسطرلابه الى انوار كواكب القران و ايات كتاب العرفان.

ثم لايخفى على ذوى الحجى، ممن له تفقه فى الغرض المقصود من الارسال و الانزال، ان مسلك الظاهريين الراكنين الى ابقاء صور الالفاظ على مفهوماتها الاولية سيما اذا قالوا: يد، لاكهذه الايدى، و وجه، لاكهذه الوجوه، و سمع، لاكهذه الاسماع، و بصر، لاكهذه الابصار، اشبه بالحقيقة الاصلية من طريقة المأولين، و ابعد عن التحريف و التصريف من اسلوب

٩٠ـ عنكبوت ٤٩

المتفلسفين و المتكلمين، و اصون للتحفظ على عقايد المسلمين، من الزيغ و الضلالة و سلوك اودية لايأمن فيها الغايلة، و ذلك لان مافهموه عامة المحدثين و جمهور اهل الرواية من اوايل المفهومات، هی قوالب الحقايق و منازل المعانی، التی هی مراد الله و مراد رسوله، لكن الاقتصار على هذا المقام من قصور الافهام و ضعف الاقدام، و اما التحقيق فهو مما يستمد من بحر عظيم من ابحر علوم المكاشفة لايغنی عنه ظاهر التفسير، بل لعل الانسان لو انفق عمره فی استكشاف اسرار هذا المطلب وما يرتبط بمقدماته و لواحقه لكان قليلا، بل لانقطع عمره قبل استيفاء جميع لواحقه، وما من كلمة من القران الا و تحقيقها يحوج الى مثل ذلك، و انما ينكشف للعلماء الراسخين من اسراره و اغواره بعد غزارة علومهم و صفاء قلوبهم، و توفر دواعيهم على التدبر و تجردهم للطلب، و يكون لكل منهم حظ و ذوق، نقص او كمل، قل او كثر، ولهم درجات فی الترقی الى اطواره و اغواره و اسراره و انواره، واما البلوغ للاستيفاء و الوصول الى الاقصى والمنتهى، فلامطمع لاحد فيه، ولو كان البحر مدادا لشرحه و الاشجار اقلاما، فاسرار كلمة الله لانهاية لها، فنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربی[91]، فمن هذا الوجه يتفاوت العقول فی الفهم بعد الاشتراك فی معرفة ظاهر التفسير الذی ذكره المفسرون.

الفاتحة السابعة

فی‌الاشارة الى صحة ما ذهب اليه اهل التحصيل من غيرتشبيه ولاتعطيل

و مما يجب ان يعلم ان الذی حصل او يحصل للعلماء الراسخين و العرفاء المحققين من اسرار القران و اغواره ليس ممايناقض ظاهرالتفسير، بل هو اكمال وتتميم له، و وصول الى لبابه عن ظاهره، و عبور عن‌عنوانه الى باطنه و سره، فهذا هو مانريده بفهم المعانی، لا ماايناقض الظاهر، كما ارتكبه السالكون مسلك الافراط و الغلو فی التأويل، كتأويل الاستواء على العرش الى مجرد تصوير العظمة و تخييل الكبرياء، و تأويل الكرسی

۹۱- كهف ۱۰۹

الى مجرد العلم او القدرة، و تأويل المعية و الاتيان و القرب و غيرذلك الى مجرد التخييل الخالى عن التحصيل، لان كلها مجازات لايصار اليها من غيرضرورة، ثم لاضابطة للمجازات[٩٢] والظنون والاوهام، فكيف يصار اليها.

ولقائل ان يقول: ان للعرب توسعاً فى الكلام ومجازاً، و ان الالفاظ التشبيهية كالوجه و اليد و الاتيان فى ظلل من الغمام، و المجيء والذهاب و الضحك والحياء و الغضب وغيرذلك صحيحة، لكن مستعملة مجازا.

قلنا: الفرق معلوم بين استعمالها حقيقة وبين استعمالها مجازاً، ويدل ذوى العقول المنصفة على استعمالها غيرمجازية ولامستعارة، بل محققه ان المواضع التى يوردونها حجة فى ان العرب يستعمل هذه المعانى بالاستعارة و المجاز على غير معانيها الظاهرة، مواضع فى مثلها يصلح ان يستعمل على غير هذا الوجه، ولايقع فيها تلبيس، و اما قوله تعالى: فى ظلل من الغمام[٩٣]، قوله: هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتى ربك او يأتى بعض ايات ربك[٩٤]، على القسمة المذكورة وماجرى مجراه، فليس يذهب الاوهام فيه البتة الى ان العبارة مستعارة او مجازية، فان كان اريد فيها ذلك اضمارا، فقد رضى بوقوع الغلط و الاعتقاد المعوج بالايمان بظاهرها تصريحا، واما مثل يدالله فوق ايديهم[٩٥]، مافرطت فى جنب الله[٩٦]، فهو مما يجوز ان يكون موضع الاستعارة و المجاز و التوسع فى الكلام، و الجرى على عادة العرب فيه، و لايشك فيه اثنان من فصحاء العرب، ولايلتبس على ذى معرفة فى لغتهم، كما لايلتبس عليه فى تلك الامثلة بانها[٩٧]، غيرمستعارة ولامجازية بلاشبهة ولا مراداً فيها شيء يخالف الظاهر، فلايجوز للمفسران يقول بانها مجازية، بل يجب عليه ان يحملها على الحقيقة، و يحيل علمها الى الله و يعول[٩٨]، عليها، ولايتجاوزها الا بنص

٩٢ـ للمجازفات ـ المطبوعة
٩٣ـ بقره ٢١٠
٩٤ـ انعام ١٥٨
٩٥ـ فتح ١٠
٩٦ـ زمر ٥٦
٩٧ـ انها ن ل
٩٨ـ جميع النسخ هكذا، والظاهر ان يكون: ويأول اويعول، اى المعتمد

صريح من الشارع، او من ينتمى اليه، اولمكاشفة تامة،او وارد قلبى لايمكن رده وتكذيبه، والافسيلعب به الشكوك كما لعبت باقوام نراهم اونرى آثارهم واطوارهم من هذه القرون اومن القرون الخالية، و شرالقرون ما طوى فيه بساط الاجتهاد و المجاهدة، و اندرس فيه المكاشفة، و انحسم باب الذوق و المشاهدة، و انسد طريق السلوك الى الملكوت الاعلى باقدام العبودية و المعرفة، و اقتصر من العلوم الحقيقية على حكايات خالية و اقوال واهية، فان ذلك يوجب اليأس من روح الله و الامن من مكرالله، و الاستحقاق لسخطه، و الاحتجاب عنه، و الحرمان عن الوصول اليه، و الاحتراق بنار القطيعة و البعد عنه، و الطرد و الغمز عن مكاشفة الانوار التى يكاشفها المجردون عن الاغراض النفسانية ، المتعرضون لنفحات الله فى ايام دهرهم، المنتظرون لامره و نزول رحمته على سرهم، فهم فى الحقيقة عباد الرحمن، الواقفون على اسرار القران دون غيرهم، سواء كانوا من الظاهرين المشبهين، او من المدققين المناظرين فكلاهما بمعزل عن فهم القران، الا ان الظاهريين اقرب الى النجاة، و البلاهة ادنى الى الخلاص من فطانة بتراء، لما اشرنا اليه من ان عقايدهم قوالب المعانى القرآنية و العلوم الالهية.

زيادة تنبيه و تقرير

قد ظهر و تبين لك مما تلونا عليك، ان لاصحاب المسالك التفسيرية اربعة مقامات.

فمن مسرف فى رفع الظواهر، كاكثرالمتعزلة و المتفلسفة، حيث انتهى امرهم الى تغيير جميع الظواهر فى الخطابات الشريعة الواردة فى الكتاب و السنة الى غير معانيها الحقيقية، كالحساب و الميزان و الصراط والكتاب، ومناظرات اهل الجنة و اهل النار فى قول هؤلاء: افيضوا علينا من‌الماء اوممارزقكم الله[۹۹]، وقول هولاء: ان الله حرمهماعلى‌الكافرين[۱۰۰]، و زعموا ان ذلك لسان الحال.

۹۹ـ اعراف ۵۰ ۱۰۰ـ اعراف ۵۰

ومن مقتر[۱۰۱] غال فى حسم باب العقل كالحنابلة اتباع ابن حنبل، حتى منعوا تأويل قوله: كن فيكون[۱۰۲] و زعموا ان ذلك خطاب بحرف و صوت يتعلق بهما السماع الظاهرى يوجد من الله فى كل لحظة بعدد كل مكون، حتى نقل عن بعض اصحابه انه كان يقول: حسم باب التأويل الا لثلاثة الفاظ، قوله صلى الله عليه و آله: الحجر الاسود يمين الله فى الارض و قوله: قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن، و قوله: انى لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن، و من الناس من اخذ فى الاعتذار عنه، بان غرضه فى المنع من التأويل رعاية اصلاح الخلق، و حسم الباب للوقوع فى الرخص و الخروج عن الضبط، فانه اذا فتح باب التأويل وقع الخلق فى الخرق و العمل بالرأى، فيخرج الامر عن الضبط، و يتجاوز الناس عن حد الاقتصاد فى الاعتقاد، و قال ابوحامد الغزالى: لابأس بهذا الزجر، ويشهد له سيرة السلف بانهم كانوا يقولون اقروها كما جائت، حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء: الاستواء معلوم، و الكيفية مجهولة، والايمان به واجب، و السؤال عنه بدعة.

و اما المقام الثالث: فهو طائفة ذهبوا الى الاقتصاد فى باب التأويل، ففتحوا هذا الباب فى احوال المبدأ وسدوها فى احوال المعاد، فاولوا اكثر مايتعلق بصفات الله من الرحمة و العلو و العظمة و الاتيان و الذهاب و المجيىء، و تركوا مايتعلق بالاخرة على ظواهرها، و منعوا التأويل فيها، و هم الاشعرية اصحاب ابى الحسن الاشعرى، و زاد المعتزلة عليهم، حتى اولوا من صفات الله مالم يأوله الاشاعرة، فأولوا السمع الى مطلق العلم بالمسموعات، و البصر الى العلم بالمبصرات، و كذا اولوا حكاية المعراج، و زعموا انه لم يكن بجسد، و اول بعضهم عذاب القبر و الصراط و جملة من احكام الاخرة، ولكن اقروا بحشر الاجساد بالجنة، و اشتمالها على المأكولات و المشروبات و المنكوحات و الملاذ الحسية، و بالنار و

۱۰۱ــ معتر نم المقتر: البخيل الذى يفيق على عياله

۱۰۲ــ بقره ۱۱۷

اشتمالها علی جسم محسوس یحرق الجلود و یذیب الشحوم.

ومن ترقیهم الی هذا الحد زاد المتفلسفون و الطبیعیون، فاولوا کلما ورد فی الاخرة و ردوها الی آلام عقلیة روحانیة، و لذات عقلیة روحانیة، و انکروا حشر الاجساد و قالوا ببقاء النفوس مفارقة، اما معذبة بعذاب الیم، و اما منعمة براحة ونعیم لایدرك بالحس، و هؤلاء هم المفسرون عن حد الاقتصاد الذی هو بین برودة جمود الحنابلة، و حرارة انحلال المأولة، واما الاقتصاد الذی لایفوته الغالی ولایدرکه المقصر، فشیئ دقیق غامض لایطلع علیه الا الراسخون فی العلم و الحکمة، و المکاشفون الذین یدرکون الامور بنور قدسی و روح الهی لا بالسماع الحدیثی ولابالفکر البحثی.

اقول: و کما ان افتصاد الفلك فی طرفی التضاد هو عبارة عن الخروج عن الاضداد، لا کاقتصاد الماء الفاتر الواقع فی جنس الحرارة و البرودة الجامع لطرفیها، الممترج منهما، فکذا اقتصاد الراسخین فی العلم لیس کاقتصاد الاشاعرة، لانه ممترج من التنزیه فی البعض، کمن یؤمن ببعض و یکفر ببعض، و اما اقتصاد هؤلاء فهو ارفع من القسمین و ابعد من جنس الطرفین، حیث انکشف لهم بنور المتابعة و الاقتباس عن مشکوة النبوة، اسرار الایات و حقایق الصفات علی ماهی علیها من غیرتشبیه و تعطیل، و تنور باطنهم بنور قذف الله فی قلوبهم و شرح به صدورهم، فلم‌ینظروا فی معانی الالفاظ من جهة السماع المجرد و التقلید المحض، و الا لامکن التخالف بینهم، و التناقض فی معتقداتهم، و التنافی بین مطالبهم و مسلماتهم، کما لسایر الفرق حیث وقع التدافع بین آراء کل فرقة منهم بواسطة تخالف ماوصل الیهم من الروایات، کما وقع التناقض بین طائفة و طائفة حیث طعن کل لاحق منهم السابق، و انکر کل طائفة ما اعتقده الاخری، کما هو عادة اهل النظر و اصحاب البحث و الفکر من المعارضات و المناقضات، کلما دخلت امة لعنت اختها[۱۰۳]، واما طریقة اهل الله فلا خلاف فیها کثیرا، لان مآخذ علومهم و معارفهم من عند الله، ولو

۱۰۳ اعراف ۳۸

كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا[١٠٤]، و من لم يجعل‌الله‌له نورا فما له من نور[١٠٥].

الفاتحة الثامنة

فى اظهار شیء من لوامع علوم المكاشفة فى تحقيق معانى الالفاظ التشبيهية للقرآن، و اهداء تحفة من تحف ماخصه الله به اهل الحق و الرحمة و الرضوان

و اما الانموذج الذى وعدناك ذكره من طريقة العلماء الراسخين و الاولياء الكاملين، الذين لايعلم غيرهم بعد الله و رسوله متشابهات كتابه المبين، الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، تنزيل من حكيم حميد[١٠٦]، فها انا اذكرمثالا و لمعة منه انشاءالله، لانى اراك عاجزاً عن دركه، قاصرا عن فهم سره وحقيقته، فانه نبأ عظيم، و انتم عنه معرضون، و لانى اخاف ان يكذبونى، فلاجل هذا يضيق صدرى ولاينطلق لسانى[١٠٧]، كما فى قوله تعالى: بل كذبوا بما لم‌يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله، كذلك كذب الذين من قبلهم[١٠٨]، ومع اللتيا و التى فاعلم اولا:

ان مقتضى الدين و الديانة ابقاء الظواهر على حالها، و ان لايأول شيئاً من الاعيان التى نطق به القران و الحديث الا بصورتها و هيئتها التى جائت من عندالله و رسوله، فان كان الانسان ممن خصه‌الله بكشف الحقايق و المعانى و الاسرار و اشارات التنزيل و رموز التأويل، فاذا كوشف بمعنى خاص او اشارة و تحقيق، قرر ذلك المعنى من غيران يبطل ظاهره فحواه، و تناقض باطنه مبناه، و تخالف صورته معناه، لان ذلك من شرايط المكاشفة، و هذه من علامات الزيغ و الاحتجاب، فالله سبحانه ماخلق شيئاً فى عالم الصورة و الدنيا الا وله نظير فى عالم المعنى و العقبى، وما ابدع شيئاً فى عالم العقبى، الا وله نظير فى عالم الاخرة و المأوى و له ايضاً نظير

١٠٤- نساء ۸۲
١٠٥- نور ٤٠
١٠٦- فصلت ٤٢
١٠٧- شعراء ١٣
١٠٨- يونس ٣٩

فی عالم الاسماء، و کذا فی عالم الحق و غیب الغیوب، و هو مبدع الاشیاء، فما من شیء فی الارض ولا فی السماء الا وهو شأن من شئونه و وجه من وجوهه، و العوالم متطابقة متحاذیة المراتب، فالادنی مثال الاعلی، و الاعلی حقیقة الادنی، و هکذا الی حقیقة الحقایق و وجود الموجودات، فجمیع ما فی هذا العالم امثلة و قوالب لما فی عالم الارواح، کبدن الانسان بالقیاس الی روحه، و معلوم عند اولی البصایر ان هویة البدن بالروح، و کذا جمیع ما فی عالم الارواح هی مثل و اشباح لما فی عالم الاعیان العقلیة الثابتة التی هی ایضاً مظاهر اسماء الله تعالی، واسمه عینه کما حقق فی مقامه، ثم ما خلق فی العالمین شیء الا وله مثال مطابق وانموذج صحیح فی الانسان، فلنکشف اولا عن بیان حقیقة العرش و الکرسی و الاستواء علیه والتمکن فیها بمثال واحد فی هذا ا لعالم الانسانی، لیقاس به غیره من معانی الالفاظ الموهمة للتشبیه.

فنقول: مثال العرش فی ظاهر عالم الانسان قلبه المستدیر الشکل، وفی باطنه روحه الحیوانی بل النفسانی، وفی باطن باطنه النفس الناطقة، وهو قلبه المعنوی محل استواء الروح الاضافی، الذی هو جوهر علوی نورانی مستقرعلیه بخلافة الله فی هذا العالم الصغیر، کما ان مثال الکرسی فی ظاهر هذا العالم البشری صدره، و فی الباطن روحه الطبیعی الذی وسع سموات القوی السبع الطبیعیة و ارض قابلیة الجسد و فی باطن باطنه نفسه الحیوانیة التی فیه موضع قدمی الناطقة الیمنی و الیسری، ای المدرکة و المحرکة، کما ان الکرسی موضع القدمین، قدم صدق عند ربك، و قدم الجبار حین یضع فی النار، ثم العجب کل العجب و لیس بعجب، ان العرش مع عظمته و اضافته الی الرحمن بکونه مستوی له، بالنسبة الی سعة قلب العبد المؤمن قیل: انه کحلقة ملقاة فی فلاة بین السماء و الارض، وقد ورد فی الحدیث الربانی: لایسعنی ارضی ولاسمائی، و لکن یسعنی قلب عبدی المؤمن، و قال ابویزید البسطامی: لو ان العرش وماحواه وقع فی زاویة من زوایا قلب ابی‌یزید لما احس بها.

فاذا علمت هذا المثال و تحققت القوی علی هذا المنوال، فاجعله

دستوراً لك فى تحقيق حقايق الايات، و ميزاناً تقيس به جميع الامثلة الواردة على لسان النبوات، فاذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ان للمؤمن فى قبره روضة خضراء، ويرحب له قبره سبعين ذراعا، و يضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر، او سمعت فى الحديث عنه صلى الله عليه و آله: انه قال فى عذاب الكافر فى قبره: يسلط عليه تسعة و تسعون تنينا، لكل تنين تسعة رؤس ينهشونه و يلحسونه و ينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون، فلاتتوقف فى الايمان به صريحا من غير تأويل، ولاتحمله على الاستعارة او المجاز، بل كن احد رجلين، اما المؤمن ايمانا بالغيب من غير تصريف[١٠٩]، و تأويل لظواهر نصوص التنزيل، او العارف المكاشف ذوالعينين الصحيحين و القلب السليم فى تحقيق الحقايق و المعانى، مع مراعات جانب الظواهر و صور المبانى، كما شاهده اصحاب المكاشفة ببصيرة اصح من البصر الظاهر، ولاتكن الثالث بان تنكر الشريعة وما ورد فيها رأساً، و تقول انها كلها خيالات سوفسطائية، و تمويهات وخدع عامية، نعوذ بالله و برسوله من مثل هذه الزندقة الفاحشة و الكبيرة الموبقة، ولا الرابع بان لاتنكرها راساً، ولكن تأولها بفطانتك البتراء و بصيرتك الحولاء الى معان عقلية فلسفية، و مفهومات كلية عامية، فان هذا فى الحقيقة ابطال الشرايع النبوية، لان بناؤها على امور يشاهدها الانبياء مشاهدة عينية لايمكن ذلك لغيرهم الا بمرآة تابعيتهم، فان كنت من قبيل الرجل الاول، فقد امسكت بنوع النجاة، لكن لاقيمة لك فى الاخرة الابقدر همتك فى الدنيا، ولا مقدار لك فى عالم العقبى الاعلى مبلغ علمك بحقايق المعنى، و اذ لاعلم فلامرتبة هناك، لان قوام عالم الاخرة والدار الحيوانية بالعلوم الباقية و النيات الحقة، كالعلم اليقينى بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر، فغير العارف بمنزلة جسد لاروح معه، و لفظ لامعنى له، ومع ذلك فالنجاة فوق الهلاك للنفوس السليمة، لبقائها على فطرتها الاصلية، و عدم خروجها عن سلامتها الذاتية بالامراض النفسانية فيكون قابلة للفيض الربانى و الرحمة الرحمانية، بشرط ان يكون[١١٠] لها تشوقا الى الكمال، و

١٠٩– تصرف ن م
١١٠– ان لايكون ن م ل

استعداد للتجاوز عن درجة العوام نحو العلوم و الاحوال، والا فيكون تقصيرك ايها المحجوب عما اهلت له، و اغفالك عما تستدعيه بقوة استعدادك، و سكونك عماتطلبه بلسان قابليتك، موجباً لسخط البارى‌عليك فى معادك و اخرتك، و باعثا لعذابك بانقطاعك عن مناك و مبتغاك، وعلى اى الحالين فليس لك نصيب من القران الا فى قشوره، كما ليس للبهيمة نصيب من اللب الا فى قشره الذى هو التبن، و القرآن غذاء الخلق كلهم على اختلاف اقسامهم‌و مقاماتهم، ولكن اغتذاؤهم على قدر منازلهم و درجاتهم، و فى‌كل غذاء مخ و نخالة وتبن، و حرص الحمار على اغتذائه التبن اشد منه على الخبز المتخذ من اللب، و انت ونظراؤك شديد الحرص على ان لاتفارق درجة البهايم، ولاتترقى الى درجة معنى الانسانية و الملكية، فدونكم والانسراح‌فى‌رياض‌القران، ففيهامتاع لكم ولانعامكم[۱۱۱]، و ان كنت من قبيل الرجل الثانى، فبسبب رسوخ قدمك فى مقام اليقين و ثباتك على جادة الحق‌والدين، وانزعاجك عن درجةالناقصين،وتجاوزك عن مواطن الظن و التخمين، يسر الله لك ان تعرف عرفاناً ذوقياً و علما كشفياً، ان التنين الذى اشار اليه النبى صلى الله عليه وآله فى الحديث المذكور، ليس مجرد تخييل بلاتحصيل، وتخويف بلااصل، وتهويل من غيرحقيقة كما يفعله المشعبدون، نعوذ بالله ان اكون من الجاهلين، بل انما هو تفصيل و شرح لقوله صلى‌الله عليه وآله: انما هى اعمالكم ترد عليكم وقوله تعالى: يوم تجدكل‌نفس ما عملت من خيرمحضراً[۱۱۲] الآية، بل سرقوله: كلالو تعلمون علم‌اليقين‌لترون الجحيم، ثم لترونها عين‌اليقين[۱۱۳]، اى ان الجحيم فى باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين، بل هو سرقوله: يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين[۱۱۴]، ولم يقل‌انها سوف تحيط، بل‌قال: هى محيطة بهم، وقوله: انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها[۱۱۵]، و لم‌يقل: تحيط بهم، وهو معنى قول من‌قال: ان الجنة و النار مخلوقتان،

۱۱۱ــ نازعات ۳۳

۱۱۲ــ آل عمران ۳۰

۱۱۳ــ تكاثر ۵ الى ۷

۱۱۴ــ عنكبوت ۵۴

۱۱۵ــ كهف ۲۹

وقد انطق الله لسانه بالحق، ولعله لايطلع على سر مايقوله، فان لم‌تفهم معانى القران كذلك، فليس لك نصيب من القران الا فى قشوره، كما ليس للبهيمة نصيب من‌الحنطة الافى تبنها و قشورها، وكما ليس للا عمى من الشمس نصيب فوق تسخن حدقته من نورها.

فنقول: هذا التنين المشار اليه موجود فى الواقع، الا انه ليس خارجاً عن ذات الميت الكافر، بل‌كان معه قبل موته، لكنه لم‌يكن يحس به‌قبل كشف الغطاء عن بصره وحسه بالموت، لخدر كان فى حسه الباطن لغلبة الشهوات و كثرة الشواغل الظاهرة، فاحس بلدغه بعد موته و كشف غطاء حياته الطبيعية بقدر عدد اخلاقه الذميمة و شهواتها لمتاع الدنيا، و اصل هذا التنين حب الدنيا، و يتشعب عنه رؤس بعدد ما يتشعب الملكات عن حب الدنيا، من الحسد والحقد و البغض و النفاق والمكر والخداع و الكبر والرياء وغيرذلك من الاخلاق الذميمة، فكما ان لكل خلق‌صورة طبيعية فى هذا العالم كما يشاهد فى الحيوانات، فكذلك لكل ملكة نفسانية صورة اخروية فى عالم الاخرة و دار الحيوان، و اصل‌ذلك التنين معلوم لذوى البصاير، و كذا كثرة رؤسه، و اما انحصار عدده فى تسعةوتسعين، فانما يقع الاطلاع منهم له بنور اتباع النبوة، فهذا التنين متمكن من صميم فؤاد الكافر المنكر للدين، لالمجرد جهله بالله و كفره، بل لما يدعو اليه الكفر والجهل، كما قال: ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على‌الاخرة[١١٦]، فكلما يدعو اليه الجهل بالله و ملكوته من محبة الامور الباطلة الزايلة فهو بالحقيقة تنين يلدغه ويلسعه فى اولاه واخراه، سواء كان مع صورة مخصوصة، كما فى عالم القبر بعد الموت، او لم‌يكن، كما فى عالم الدنيا قبل الموت، و عندعدم تمثل هذا الامر اللداغ اللساع على صورة تناسبه لايعوزه شىء من حقيقة التنين و معنى لفظه بالحقيقة، اذ اللفظ موضوع للمعنى المطلق الشامل للعقلى والحسى جميعاً، و خصوصيات الصور لخصوصيات النشآت خارجة عما وضع له اللفظ، و ان كان اعتياد الناس بمشاهدة بعض الخصوصيات يحملهم على الاقتصار عليه و الاحتجاب عن

١١٦ـ نحل ١٠٧

غيره، و الحكم بانه مجاز، كما فى لفظ الميزان.

تمثيل و تبصرة

قد مر ان الاصل فـى منهج الراسخين فـى العلم هو ابقاء ظواهر الالفاظ على معانيها الاصلية من غير تصرف فيها، لكن مع تحقيق تلك المعانى و تلخيصها عن الامور الزايدة و عدم الاحتجاب عن روح المعنى بسبب غلبة احكام بعض خصوصياتها علـى النفس و اعتيادها بحصر كـل معنى على هيئة مخصوصة له، يتمثل ذلك المعنى بها للنفس فى هذه النشأة، فلفظ الميزان مثلا موضوع لمايوزن ويقاس به الشىء مطلقا، فهو امر مطلق يشمل المحسوس منه و المتخيل والمعقول، فذلك المعنى الشامل روح معناه وملاكه، من غيران يشترط فيه تخصيصه بهيئة مخصوصة، فكل مايقاس به الشىء باى خصوصية كانت، حسية او عقلية، يتحقق فيه حقيقة الميزان، ويصدق عليه معنى لفظه، فالمسطرة و الشاقول والكونيا والاسطرلاب و الذراع، وعلم النحو و علم العروض و علم المنطق وجوهر العقل، كلها مقائيس و موازين يوزن بهاالاشياء، الا ان لكل شىء ميزان يناسبه ويجانسه، فالمسطرة ميزان الخطوط المستقيمة، و الشاقول ميزان الاعمدة علـى الافق، و الـكونيا ميزان السطوح الموازيـة للافق، و الاسطرلاب ميزان الارتفاعات القوسية من الافق اولا، و لجيوبها[۱۱۷] و اوتارها ثانيا، و النحو ميزان الاعراب و البناء للفظ على عادة العرب، والعروض ميزان كمية الشعر، و المنطق ميزان الفكر يعرف به صحيحه عن فاسده، و العقل ميزان الكل ان كان كاملا، فالكامل العارف اذا سمع الميزان لايحتجب عن معناه الحقيقى بما يكثر احساسه و يتكرر مشاهدته من الامر الذى له كفتان و عمود ولسان، و هكذاحاله فى كل مايسمع ويراه، فانه ينتقل الى فحواه، ويسافر من ظاهره و صورته الى روح معناه، و من دنياه الى اخراه، و لايتقيد بظاهره واولاه، و اما المقيد بعالم الصورة فلجمود طبعه و خمود فطنته و سكون قلبه الى اول البشرية، و اخلاد عقله الى ارض الحيوانية،

۱۱۷ــ الجيب نسبته المقابل الى الوتر، ويرمزله بالرمز (جا) و (SINE) سينوس

فیسکن الی اوایل الفهوم، و یطمئن الی مبادی العقول، ولایسافر من مسقط رأسه و معدن جسمه ومنبت حسه، ولایهاجر من بیته الی الله و رسوله، حذراً من ان یدرکه الموت، ویفوته الصورة الجسمیة، ثم لایصل الی عالم المعنی لعدم وثوقه بما وعده الله و رسوله، وعدم تصدیقه بما قال تعالی: ومن یخرج من بیته مهاجرا الی الله ورسوله ثم یدرکه الموت فقد وقع اجره علی الله[۱۱۸].

و الحاصل ان الحق عند اهل الله، هو حمل الایات و الاحادیث علی مفهوماتها الاصلیة من غیر صرف و تأویل، کما ذهب الیه محققوا الاسلام و ائمة الحدیث لما شاهدوه من سیرة السابقین الاولین، و الائمة المعصومین سلام‌الله علیهم اجمعین، من عدم صرفها عن الظاهر، لکن مع تحقیق معانیها علی وجه لایستلزم التشبیه و النقص و التقصیر فی حق الله.

قال بعض الفضلاء المعتقد، اجراء الاخبار علی هیئاتها من غیر تأویل ولاتعطیل، فمراده من التأویل حمل الکلام علی غیر مفهومها الاصلی، و من التعطیل، التوقف[۱۱۹]، فی قبول ذلک المعنی، و اکثر اهل الدین علی ان ظواهر معانی القران والحدیث حق و صدق، و ان کانت لها مفهومات اخر فوق ماهو الظاهر، کما فی الحدیث المشهور: ان للقران ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً[۱۲۰]، کیف ولولم یکن الایات والاخبار محمولة علی ظواهرها و مفهوماتها الاولی کما زعمه اکثر الفلاسفة، لما کانت فایدة فی نزولها و ورودها علی الخلق کافة، بل کان نزولها موجباً لتحیر الخلق وضلالهم، وهو ینافی الهدایة والرحمة والحکمة، فکیف یکون القران تبیانا لکل شیء وهدی و رحمة، وکیف یکون الرسل هادین المهدیین، وهم زادوا علی ما قالوا الغازاً و مجازات طول اعمارهم، فتعالی کلام رب‌العالمین، و حاشا احادیث نبیه اعلم العالمین عن‌ذلک، فلیس لمن بقی فی زوایا صدره ذرة من ایمان ان یعتقد فی کلام الله و کلام رسوله ان یکون ظاهره کفراً

۱۱۸ــ نساء ۱۰۰ ۱۱۹ــ التوقیف ن م

۱۲۰ــ ای لکل حد مطلع، ای مصعدیصعد الیه من معرفة علمه، والمطلع مکان الاطلاع من موضع عال.

و الحاداً او الغازاً ومجازاً من غيرقرينة او معقرينة متأخر بيانها عن‌وقت الحاجة، فثبت من تضاعيف ما قررناه ان القران ظاهره حق وباطنه حق، وحده حق ومطلعه حق، لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه[۱۲۱].

الفاتحة التاسعة

فى الهداية لكشف نقاب وتصويرثواب و عقاب

قد مرت الاشارة الى ان كل ما يوجد فى هذا العالم، فهو مثال لما فى‌الاخرة، و مامن‌شىء فى عالم الصورة الا وهومثال لامر روحانى، وله صورة فى عالم الاخرة، و عالم الاخرة عالمان: احدهما عالم الصورة الاخروية، المنقسمة الى الجنة ومافيها، والجحيم ومافيه على درجاتهما و دركاتهما ومنازلهما و طبقاتهما، و ثانيهما عالم المعنى العقلى الخالص، لايشوب صورته العقلية كثرة وتجسم و تغير وتقدر، وفيه روح كل شىء و سره ومعناه، وليس هوبماهو مفتقراً فى تحققه الى صورة جسمانية ولا الى صورة نفسانية، و هذا المثال الجسمانى مرقاة الى المعنى الروحانى، ولذلك قيل: الدنيا منزل من منازل الطريق الى الله و عالم ملكوته، فيستحيل الترقى الى عالم الاخرة فى شىء من الاشياء، الا من هذه المعابر ومن هذه الامثال، لقوله: وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون[۱۲۲] وقوله: ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون[۱۲۳]، وقيل: من فقد حساً فقد علماً، و القران و الاخبار مشحونة بذكر الامثلة من هذا الجنس الذى مر ذكره فى مثال التنين، المشار اليه فى الحديث النبوى فى باب عذاب القبر للكافر، فهذا التنين يتمثل للفاسق الخارج عن الدين فى عالم‌البرزخ، المتوسط بين هذا العالم و الاخرة المحضة، حتى يشاهده و ينكشف عليه صورته وكسوته، لكن لايمكن لغيره ممن هو فى هذا العالم بعد لكثافة الحجاب و غلظة الغطاء مشاهدتها و مشاهدة ساير الصور الاخروية الملذة او الموذية، و ان كانت موجودة الان، فان الجنة التى تتصل اليه بعدالموت

۱۲۱ــ فصلت ۴۲ ۱۲۲ــ حشر ۲۱
۱۲۳ــ واقعه ۶۲